روايات عبير

سحر الحب

www.elromancia.com

مرمورية

Julia JOHANSEN

N° 630

روايات عبير

"أني" فتاة شابة تبدأ حياتها العملية.

وعلى الرغم من حداثة سنها فقد مرت بتجربة عاطفية فاشلة

مازالت مرارتها في حلقها.

ثم قابلت "فرانسوا مونسو".

هل هي مستعدة لخوض تجربة جديدة؟

www.elmenshawy.com

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٣ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

ISBN 9953-443-08-4

9 789953 443089

شخصيات الرواية

- "فرانسوا مونسو": كاتب مشهور. وسيم ومعروف في المجتمع الباريسي بمغامراته النسائية المتعددة.

- "آني": شابة التحقت بالعمل لدى "فرانسوا مونسو" كموثقة. تتمتع بجمال واضح وطبيعة بسيطة.

- "آلان كورديه": طبيب شاب كانت تربطه علاقة عاطفية بـ"آني".

www.elromancia.com
مدرسة الرواية

الغلاف الأمامي

"فرانسوا مونسو" كاتب مشهور له جاذبية خاصة، يعيش حياة مفعمة بالعمل، ولكنه في نفس الوقت لا يترك فرصة واحدة للاستغراق في المغامرات العاطفية العابرة مستغلا تأثيره القوى في النساء. هل كانت هذه هي طبيعته أم أن هذا السلوك تجربة عاطفية صادقة؟

الفصل الأول

ظهرت حديقة الدير المجاور من خلال النوافذ العالية، كما يوجد الكثير منها في حي "سان جيرمان دي پريه". مدت الأشجار أفرعها العارية إلى السماء. كانت "باريس" تنتظر سقوط الثلوج الأولى للشتاء. صباح غد سيطلق الأطفال صيحات الفرحة عند اكتشاف غطاء أبيض يغطي المدينة. بعد الظهر هب نسيم بارد دفع المتنزهين القلائل للإسراع.

في المكتبة الكبيرة التي تعمل فيها "آني" لم يشعر أحد لا بالرياح ولا بالبرد. ساد الحجرة دفء لطيف، كما في كل منازل شارع "فارين"، ومنزل الكاتب المشهور "فرانسوا مونسو".

كانت حوائط الغرفة مغطاة بالرفوف المحملة بالكتب حتى السقف. على طاولة منخفضة تكومت القواميس في فوضى مع كتب الأطلس. خفف من جدية المكان الألوان الدافئة للمكتب والمقاعد من خشب الأكاجو الكوبي. يتواجه بالقرب من النوافذ مقعدان مريحان مغطيان بقماش بلون التاباك. أسدل على النوافذ الزجاجية ستائر مزدوجة من الحرير الداماسيه الثقيل.

كل كبيرة وصغيرة حتى اختيار الإكسسوار يؤكد أن سيد البيت رجل ذو ذوق رفيع.

أضاءت "آني" المصباح المصنوع من الحديد وأخرجت من الملف أوراقا بيضاء، وجلست إلى المكتب. كان لديها الكثير من العمل، ولكن احتمال استمرارها في العمل حتى بعد الظهر لم يزعجها. إنها تستمتع بوقتها في هذه الحجرة المتناسقة الهادئة التي لا تصل إليها ضوضاء المدينة.

فجأة، انتفضت عندما وصل إلى سمعها بعض الأصوات. صوت أقدام مسرعة على البلاط الرخامي للردهة، صوت ينبئ عن شيء لا تفهمه "آني". وفتح باب المكتبة فجأة. دخل رجل، توقف عندما رأى "آني" تجلس إلى المكتب.

قال في دهشة:

– لم أسعد بالتعرف إليك؟ هل تخبرينني من أنت؟

كان صوته حادا ودافئا.

www.elromancia.com

تعرفت إليه "آني" على الفور. إنه هو "فرانسوا مونسو"، كاتب الروايات المشهور، ومؤلف العديد من الكتب الناجحة. قوام رشيق في ملابس السفر. طويل، أكثر طولا مما كانت تتخيل عندما كانت تراه في صور المجلات أو البرامج الأدبية في التليفزيون. شعره أسود، عيناه بنيتان وحادتان، بشرته سمراء تكشف عن انتمائه للبحر المتوسط. نظرته متعالية إلى حد ما. يتمتع "فرانسوا مونسو" بجاذبية الرجال في سن الخامسة والثلاثين.

قالت "آني" في نفسها: "إن المخبرين الصحفيين لا يكذبون- إذن- عندما يصفونه بأنه أكثر العزاب جاذبية في كل "باريس"؟

قالت "ناهضة":

- أنا "آني روبير" سكرتيرتك، عينني السيد "دوفان" كموثقة. كل صباح أعمل في المكتبة العامة حيث أجمع المعلومات التي يطلبونها مني، وبعد الظهر أعمل هنا.

قال "فرانسوا مونسو" في دهشة:

- آه نعم؟ هذا يعني أنك موثقتي؟ هذا مثير للفضول!

محتارة، لم تجب "آني". ما الذي يثير التعجب في هذا؟ هل يرى أنها صغيرة؟ أو غير مقنعة؟

عندما رأت أن السيد "دوفان" يعطي ذلك أهمية كبيرة، اعتنت "آني" بأن تكون ملابسها من النوع الذي يوحي بالجدية. لقد جمعت شعرها الأشقر خلف رقبتها، لم تضع أي أدوات تجميل على بشرتها الفاتحة، كما لم تضع أي لون صناعي على شفتيها. حركة التأنق الوحيدة التي سمحت بها لنفسها هي وضع نقاط من زيت اللوز على أطراف أهدابها الطويلة السوداء التي تحيط بعينيها الزرقاوين. كانت ترتدي جيبا من صوف بوردو وقميصا ورديا وحذاء برقبة.

عندما رآها في هذا المظهر أوما السيد "دوفان" الصارم دون أن ينبس بكلمة معربا عن قبوله. يبدو أنه يأسف لأن "آني" ليست في سن أكثر كبرا، وهيئتها أقل جمالا.

استطرد "فرانسوا مونسو":

- أين السيد "دوفان"؟

- ذهب يفحص كتبا نادرة أشار بها إليه ناشرك. تركني بمفردي بعد أن حدد لي عملي.

- هل أنت تحت الاختبار أم تم تعيينك بالفعل؟

ظل صوت الكاتب طبيعيا، ولكن عبوسا طفيفا على وجهه كشف معارضته.

لم تكن "آني" مقدرة لهذا الاستجواب الذي اضطرت لتحمله أجابت:

- لقد عينني السيد "دوفان" بصفة نهائية.

قال الروائي مفسرا:

- أرجو أن تعذري اندهاشي، لكن قبل رحيلي إلى الولايات المتحدة كان قد تم تعيين طالب شاب في كلية الحقوق، وكنت قد وافقت على هذا الاختيار، وإذا بي أعود فجأة ومبكرا عما كان متوقعا وأجدك خلف هذا المكتب. ماذا حدث؟

شعرت "آني" بالغضب. إن عدم الثقة التي يواجهها بها "فرانسوا مونسو" يجرحها بعمق، وكذلك عدم اكتراثه بإخفاء ذلك. أجابته في هدوء:

- إني أجهل ما حدث، ولست على مستوى تفسير ذلك لك. كنت أبحث عن عمل، وأجبت عن الإعلان، ووقع اختيار السيد "دوفان" عليّ. هذا كل ما أستطيع أن أقوله لك.

توقفت "آني" عن الحديث. لم ترد أن تبدو كأنها تدافع عن نفسها.

- إذا كان السيد "دوفان" قد وقع اختياره عليك...

قال هذه الكلمات، وتقدم "فرانسوا مونسو" نحو إحدى النوافذ، وظل برهة طويلة ناظرا خارجها. يبدو كأنه قد نسي وجود الفتاة. دقت الساعة أربع دقات.

فكرت "آني": فظ! إنه فظ! يحتقر النساء، إذا كان يتخيل أنني سأسمح له بأن يعاملني بهذه الطريقة فهو يخدع نفسه"

قالت بصوت عال:

- مهما كان الأمر يا سيدي: إذا كان اختيار السيد "دوفان" لا يناسبك،

وتعييني قد تم بشكل نهائي؛ فإنني لن أبقى بدون رغبتك.

التفت "فرانسوا مونسو." نظر طويلا إلى الفتاة. شعرت "آني" بأنه يتفحصها من منبت شعرها حتى قدميها. لم تهتز.

سألها الروائي:

– ماذا كنت تعملين قبل أن يعينك السيد "دوفان"؟

– كنت موثقة في شركة دولية للمنتجات الكيماوية، معامل الأحماض.

– إنها شركة كبيرة. هل تفضلين عملك الحالي على وظيفتك في هذه الشركة المهمة؟ لماذا تركت معامل الأحماض؟

تحت نظرته التي لم تتركها توّردت "آني"، وغضبت من نفسها؛ لذلك استطردت محاولة أن تسيطر على اضطرابها:

– طموحي ليس أن أبقى موثقة طوال حياتي. أنوي استئناف دراستي والحصول على شهادة الحقوق. لقد رتبت ذلك مع السيد "دوفان". في العام الدراسي القادم لن أعمل سوى نصف الوقت مما سيتيح لي متابعة محاضرات الكلية.

خطا "فرانسوا مونسو" بضع خطوات في الحجرة دون أن يجيب.

استطردت "آني":

– هذا الترتيب يناسبني. وعلى الرغم من ذلك أردد بأنني لا أريد أن أفرض نفسي.

ابتسم "فرانسوا مونسو" ابتسامة صغيرة غير متوقعة. أُضيء وجهه لحظة بفعل هذه الابتسامة، وبدا لـ"آني" رجلا ذا سحر لا يوجد إلا نادرا، وهو يعرف جيدا كيف يستغل ذلك، قال بعدم اكتراث:

– لن نتشاجر. إني أفي دائما بالتزاماتي حتى إذا كان قد اتخذها آخر، ستبقين وساكون سعيدا بذلك.

خرج دون أن يلتفت خلفه.

الفصل الثاني

فكرت "آني" عندما أغلق الباب "هذا الكاتب المشهور ليس رجلا ذا طباع سهلة".

جلست إلى المكتب الأكاجو وأمسكت بأصابعها بآلية البطاقات. هذا السؤال الطبيعي: "لماذا تركت معامل سورس" قد أصابها بالاضطراب. إذا كان السبب هو رغبتها في استكمال دراستها فهل لديها الشجاعة لتتحدث أيضا عن "آلان"؟ "آلان" الذي مازالت ذكراه تؤلمها.

شاب طويل شعره بني فاتح، مفعم بالحيوية، وله مستقبل باهر. قابلته "آني" في المؤتمر الدولي للأحياء. كانت تحضر الاجتماعات لحساب شركة معامل الأحماض، ولقد قدرت على الفور مهارة "آلان كورديبه" مساعد البروفيسور "بلانشيه".

في عشاء ختام المؤتمر، تواجد كلاهما بجانب الآخر، وأدركت "آني" بعد ذلك أن "آلان" قد بدّل الأماكن حتى يجلس إلى جوارها.

في لحظة رحيله قال لها إنه يريد رؤيتها مرة أخرى. مضى خمسة عشر يوما دون أي أخبار عنه. اعتقدت "آني" أنه قد نسي، ولكن ذات صباح اتصل بها. اعتذر عن عدم تمكنه من الاتصال بها من قبل، ودعاها في ذات المساء.

في هذا اليوم كانت "آني" ترتدي فستانها المفضل الذي تناسب لونه البنفسجي مع لون عينيها وأبرز جمال لون بشرتها وشعرها.

قرأت "آني" على الفور في عيني "آلان" أنه يراها جميلة. تناولا العشاء معا في مطعم يوناني صغير في شارع "دي لا هوشيت" في قلب الحي اللاتيني.

وبعد ذلك داوما على اللقاء. قاما بجولات في الأنحاء، يكتشفان المطاعم الصغيرة الجميلة التي لا يعرفها الجمهور، وفي مرات أخرى يتناولان الغداء تحت الأشجار على شاطئ الماء.

أو يبقيان في "باريس" حيث يتنزهان، وشمس الربيع تفيض بأشعتها المبهجة على الشوارع القديمة للمدينة، وأشجار الكستناء مزهرة. بعد ذلك

كانا يذهبان إلى السينما وأحيانا إلى المسرح، وينهيان السهرة في المطعم اليوناني. وكانت مديرة المطعم تستقبلهما بحفاوة بعد أن أصبحا من الزبائن المترددين عليها.

في كل لقاء كانا يجدان سعادة متزايدة. ودون أن يشعرا نمت بينهما مشاعر حانية.

ذات مساء تقابلا في حديقة "لوكسمبرج". أعلن "آلان" لـ"آني" أنه ينظم في الأسبوع التالي حفلة مع أصدقائه الطلبة في كلية الطب وفي الفنون الجميلة. وأوضح لها أنه يعتمد عليها في أن تكون رفيقته في هذه الحفلة التي ستستمر طوال الليل. اعتذرت "آني" عن الحفلة برفق وبحزم في ذات الوقت، وأوضحت أنها لا تذهب إلى حفلة تستمر طوال الليل وأنها لن تفعل.

قال "آلان" في تعجب:

– كيف! فتاة متحضرة ومستقلة مثلك... نحن في نهاية القرن العشرين وترفضين حفلة مثل هذه؟

دهشت "آني"، لكنها لم ترد أن تبدو متحفظة حمقاء، وأجابت مستعيرة روح السخرية التي لدى "آلان".

– إيه حسنا! سأجيبك بما قالته إحدى الوصيفات لـ"هنري الرابع": "طريق غرفتي يمر عبر الكنيسة؟"

لم يكن "آلان" ساخرا. اتخذ وجهه مظهر الجد فجأة، وأحاط "آني" بذراعيه.

– "آني"، أنت لست مثل كل الفتيات اللاتي عرفتهن. منذ أن قابلتك أفكر فيك بدون توقف. "آني" أحبك. هل تريدين أن تصبحي زوجتي؟

شعرت "آني" بأن قدميها لا تقويان على حملها. لم تستطع أن تجيب، وقد عقد لسانها من فرط الانفعال. أطبق "آلان" بشفتيه على شفتيها، وظلا متعانقين في حديقة "لوكسمبرج" الخالية من الرواد. في هذا الوقت المتأخر لا يشاركهما تلك اللحظة سوى تماثيل ملكات "فرنسا" التي من أعلى قواعدها تبدو كأنها تتأمل الشابين بأعين حانية.

تنهدت "آني" متذكرة ذلك اليوم القاسي الذي رأت فيه "آلان" لآخر

مرة. بعد غداء سريع ذهبا إلى حديقة "لوكسمبرج" في ركنهما المفضل. تحت شمس الخريف التي لا تزال دافئة، أظهرت الحديقة روعتها، وازدهرت أزهار الداليا في آخر موسم تفتحها.

انتظرت "آني" أن يضمها "آلان" إليه، لكنه لم يفعل. وضعت يدها على يد الشاب وسألته:

– ماذا هنالك يا "آلان"؟ إنني احتفل بلقائنا وأنت تتحدث بالكاد أثناء الغداء. هل لديك مشاكل؟

لم يجب "آلان" على الفور. ثم بحركة عصبية رفع خصلة ثائرة وبدأ في الكلام ناظرا مباشرة أمامه.

– يجب أن نكون عقلاء يا "آني". لقد عهد لي البروفيسور "بلانشيه" ببعض أعمال البحث البيولوجي المهمة جدا. برنامج بدأه، ونجاحه يعني حصوله على جائزة "نوبل"، والأمر مهم بالنسبة لي أنا أيضا. إنني مضطر لبذل جهد كبير في المستقبل. سنقلل لقاءاتنا.

– ماذا تعني بأن لقاءاتنا ستقل؟

– حسنا...

– ماذا؟

– سأكرس لك كل وقت الفراغ الذي سيتاح لي.

تصرفه الغريب وصوته الذي يشوبه الإحراج كل ذلك بدا غير طبيعي.

سألت "آني":

– "آلان" ماذا يحدث؟ أنت لم تعد كسابق عهدك. لقد تقابلنا بصعوبة في الأسابيع الأخيرة.

أشعل "آلان" سيجارة ليخفي عصبيته.

أجاب:

– نعم هذا صحيح، لقد كنت مشغولا جدا.

– وإلى متى سيستمر ذلك؟

– لست أدري بالضبط.

تلقت "آني" المظهر الحزين الذي بدا عليه ذلك الشاب الذي كانت تعتبره خطيبها. ضغطت عليه بالأسئلة.

أجابها "آلان":

– لقد أخبرتك بكل شيء. تعرفين أن رئيسي البروفيسور "بلانشيه" يعتبر المرشح القادم لجائزة "نوبل" للأحياء. لقد عهد إلي بعمل ذي أهمية عالية. ولست أنا المبتدئ الذي يستطيع أن يرفض مثل هذا العرض. هناك الكثيرون الذين يحسدونني على هذه الفرصة.

– لكن يا "آلان" ومشروعاتنا؟ هل تعتقد أننا اتفقنا على موعد زواجنا؟

– اسمعي يا "آني"...

أصبح صوت "آلان" أقل حزما، قال في تردد:

– اسمعي: لقد فكرت جيدا، صدقيني سيكون من غير الصواب أن نتزوج الآن كما قررنا. نحن صغيران، أليس من الأفضل الانتظار حتى يتحسن موقفي؟

شحبت "آني". تمتمت:

– لست أفهم. ماذا تقصد؟

شعرت كأنها تعيش حلما مزعجا عندما سمعت "آلان" يجيبها:

– لست متأكدا أنني أستطيع أن أتزوجك.

– لكن لماذا؟

– لقد قلت لك.

أوشكت "آني" أن تبكي. قامت بجهد كبير حتى تسيطر على حزنها.

– لا يا "آلان" هذه حجة واهية. لي الحق في معرفة الحقيقة، السبب الحقيقي في قرارك.

بدا "آلان" مرتبكا تماما، لم يجبها.

همست "آني":

– هذا غير معقول. هل يجب أن أصدق تلك الشائعات المنتشرة في الوسط الطبي؟ أن البروفيسور "بلانشيه" يريد أن يزوج ابنته متواضعة الجمال، وأنه رمى شباكه عليك؟

بقي "آلان" صامتا تاركا سيجارته تحترق بين أصابعه.

– يا لها من فرصة بالنسبة لمبتدئ مثلك أن يصبح زوج ابنة صاحب جائزة "نوبل"، لا أستطيع أبدا أن أقدم لك مثل ذلك.

استطردت "آني" بصوت حزين:

– إني من وسط متواضع، ليس لي ثروة ولا علاقات. الأشياء الوحيدة التي أستطيع أن أقدمها لك هي حبي الصادق وشبابي.

زفر "آلان":

– الحياة ليست سهلة. لا تحكمي علي ولا تدينيني، لا أريد أن أفقدك.

انتصبت "آني" في اعتزاز وقاطعته قائلة:

– لا يا "آلان"، لن أقبل أبدا أن أبقى في حياتك إذا تزوجت بأخرى. لقد حلمت بأن أكون زوجتك. وبما أنك اخترت طريق الطموح يجب أن تواصله حتى النهاية.

نهضت الفتاة. كانت مرتعشة ودموعها حارة. جاهدت دون أن تمنعها من الانفجار.

نهض "آلان" أيضا. خلال لحظة بقيا وجها لوجه. رأت "آني" وجه "آلان" بالقرب من وجهها. هذا الوجه لأول حب في حياتها. والتفتت.

قالت في حزم:

– إني أبرئك من وعدك. من الأفضل أن ننفصل يا "آلان"، لم يعد هناك ما نقوله. وداعا يا "آلان".

نظر الشاب إليها وهي تبتعد. تقدم نحوها أراد أن يجري وراءها ويمسك بها. تبع بعينيه قوامها الرشيق وهو يختفي خلف شجرة ضخمة.

ترك "آلان" نفسه ليسقط على مقعده حزينا. إنه يعاني لأنه فقد "آني" دون أن يجد القوة– على الرغم من ذلك– لدفع الفرصة التي تقدم له. تلك الفرصة التي حدثه عنها البروفيسور "بلانشيه" بوضوح عندما قال:

– بالمناسبة يا "كوردييه" لقد كان لك تأثير ممتاز في السيدات أثناء حفل العشاء الخميس الماضي. تجدك ابنتي لطيفا جدا، وكذلك زوجتي. لقد كلفتني أن أنقل لك دعوة زيارتنا نهاية الأسبوع القادم في منزل الصيد في سولوني. ساكون سعيدا إذا قبلت الدعوة، بالإضافة للصيد قد نستطيع الحديث عن بعض الأعمال. هذا ما لم تكن مرتبطا بلقاء عاطفي يبقيك في "باريس"، في هذه الحالة لن أصر.

ولقد قبل "آلان" وأخذ يتردد عليهم في كل عطلة. شيئا فشيئا أصبح

www.elromancia.com

جمعت بين الاسمين. وصارت "روزيتا" "ماميتا".

كانت الفتاة الشابة تجد حنانا بالغا لدى هذه السيدة العجوز قريبتها الوحيدة منذ أن أصبحت يتيمة مبكرا. وفي هذه الشقة الصغيرة حيث تعيش "ماميتا" تحيطها ذكريات ماض غابر، ولكنه حاضر. ذهبت لتفتح لها قلبها.

سمعتها "ماميتا" دون أن تنبس بكلمة. شعرت بمدى حاجة الفتاة للإفضاء عما بقلبها لشخص عزيز. وجهها الشاحب وعيناها الزرقاوان يملأهما الحزن، وشعرها أشعث؛ إذ إن كل شيء يشير إلى عمق حزنها.

متأثرة قبلت السيدة العجوز "آني" وربتت شعرها الكثيف. قالت:

– هدئي من روعك يا عزيزتي. أقدر ألمك، ولكن هذا الشاب غير جدير بك. لقد أحسنت بمجيئك وتعرفين أنك تستطيعين دائما الاعتماد علي. أنت ابنتي.

إذن لم يعد حزن "آني" حبيس قلبها. وانفجرت في البكاء فترة طويلة، وأخيرا استطاعت أن تقول من خلال دموعها:

– "ماميتا"! أوه "ماميتا"! لو تعلمين كم أنا حزينة.

"آلان" ضيفا دائما لدى آل "بلانشيه" مختلقا في كل مرة حجة لتفسير غيابه لـ"آني" التي وعدها– على الرغم من ذلك– بالزواج. "آني" الجميلة، الرقيقة، والمعتدة بنفسها أيضا.

امسك "آلان" برأسه بين كفيه وبقي على هذا الحال طويلا حتى إن طفلا كان يلعب– ليس بعيدا عنه– لاحظه، ومحتارا وقف أمامه.

سأل الطفل أمه:

– ماذا أصاب السيد؟ لماذا يمسك برأسه ولا يتحرك؟ هل هو حزين؟

عندما وصلت إلى مكتبها وهي لا تزال مضطربة بسبب هذا الموقف القاسي الذي عاشته وجدت "آني" خطابا من رئيسها موقعا في ذات الصباح. هذا الخطاب يكلفها بالاتصال بمكتب البروفيسور "بلانشيه".

الأمر يتعلق بإعداد توثيق عن الدواء الجديد الذي ابتكره البروفيسور وفريقه، دواء يعد ثورة في العلاج التقليدي لسرطان الدم نظرا للنتائج الممتازة التي حققها.

دهشت "آني". هذه المهمة ستحتم عليها الاتصال المباشر بفريق عمل البروفيسور وخاصة "آلان" وهذا الوضع سيكون غير محتمل. قررت الفتاة ان تطلب من المدير ان يثنيها عن هذا العمل وان يعين شخصا آخر.

كان المدير رجلا جافا ذا مزاج غير مستقر، متشككا في أن سلطته ليست محترمة بالقدر الكافي. لم يرد ان يسمع شيئا. لم تستطع "آني" ان تعطي السبب الحقيقي لطلبها، ولكنها وعدت ان تساعد الوسيلة التي ستقوم بهذا العمل، عاند المدير ورفض اي حل آخر.

وطرد "آني" بقسوة.

عند عودتها إلى مكتبها، كتبت استقالتها. كالعصفور الجريح الذي ذهب يبحث عن دفء عشه، لاذت الفتاة دون ان تفكر بمنزل "ماميتا" صديقتها الحميمة التي تحل محل عائلتها المختفية.

"آني" تعرفها منذ إدراكها. "ماميتا" قريبة لجدتها، وكان اسمها الأول "روزيتا". و"آني" طفلة لم تكن تفرق بين جدتها وهذه القريبة، هاتان السيدتان اللتان تدللانها عندما رحلت جدتها إلى العالم الآخر. كانت "آني" لا تزال طفلة فوجهت كل حبها إلى "روزيتا". ومنذ ذلك اليوم

www.elromancia.com

الفصل الثالث

منذ عودة "فرانسوا مونسو" إلى منزله في شارع "دي فارن" خرج المنزل فجأة من هدوئه. التليفون يرن بدون توقف.. يتوافد الزائرون من أصدقاء وصحفيين ومعجبين وطالبي الصور أو المال؟ والمتطفلين من كل نوع. دون ذكر الصديقات الجميلات للكاتب، لكن كان السيد "دوفان" يقظا. لقد أقام حاجزا يحمي بقوة "فرانسوا مونسو" من المتطفلين.

لاحظت "آني" بسرعة مظهر الكاتب الاجتماعي الذي عرف به "فرانسوا"، فقد كان ينكب على العمل في مكتبه ساعات طويلة. إنه يحضر لكتاب جديد. عرفت الفتاة ذلك من السيد "دوفان" الذي توافقت معه بشكل جيد. لقد كسبت ثقة هذا الرجل ذي الخمسين عاما، والذي نسي شيئا فشيئا تحفظاته الأولى تجاهها.

خلال عدة أسابيع نادرا ما رأت "آني" "فرانسوا مونسو". يبدو أنه نسيها. أخيرا طلبها ذات يوم بصوت لطيف، ولكن بدا بتحفظ، وشرح لها ما يطلبه منها. الكتاب الذي يحضره عمل تاريخي عن الثنائي المأساوي الإمبراطور "ماكسيمليان" والإمبراطورة "شارلوت" حاكمي "المكسيك" في القرن التاسع عشر. كل يوم كان على "آني" الذهاب إلى المكتبة العامة لعمل بحث عن تاريخ الزوج الإمبراطوري وعصره. وبعد الظهر كانت تقدم ما جمعته للكاتب.

بدأت "آني" العمل. هذا الزوج الإمبراطوري اعتلى عرش "المكسيك" بواسطة "نابليون الثالث"، ثم تخلى عنه. واندلعت المؤامرات والثورة ورُمي "ماكسيمليان" بالرصاص، وجُنّت زوجته وهي حامل من فرط الألم. كل هذه المأساة حركت مشاعر الفتاة. واهتمت بشغف بأبحاثها.

في هذا اليوم كانت قد جمعت معلومات مثيرة بشكل خاص دونتها في الساعة المعتادة. طرقت باب مكتب "فرانسوا مونسو". أجابها الصوت الحاد الذي عرفته "آني" الآن جيدا.

– ادخل.

كان المكتب مفروشا بأثاث ذي طراز إنجليزي يطل مثل المكتبة على

حديقة الدير المجاور. على الرغم من كبرها بدت الحجرة صغيرة لأنها كانت ممتلئة بالكتب والوثائق. عمت فيها فوضى واضحة لا يستطيع أن يبقي فيها سوى الكاتب. لا أحد غيره له الحق في لمس أوراقه حتى "شارل" خادمه الأمين.

عند دخول "آني" رفع "فرانسوا مونسو" رأسه ونظر إليها وهي تقترب. كان وجهه خاليا من أي تعبير، ولكن نظرته المحدقة إليها تسببت في خلق شعور ما لدى الفتاة لم تستطع إنكاره. قالت لنفسها: "لابد أنه ينظر للنساء كثيرا بهذه الطريقة. سمعته كزير نساء لا تخفى على أحد".

أشار إليها بيده ذات الأصابع الطويلة العصبية بالجلوس في المقعد المواجه له. جلست "آني" وعرضت عملها لهذا اليوم متحمسة للموضوع، راحت تعلق على ما عثرت عليه من معلومات. توقفت فجأة... تذكرت أن في أول أيامها في هذا العمل، عندما أفصحت عن رأيها الشخصي قال لها "فرانسوا مونسو" في جفاف:

– لا أريد تعليقات يا آنستي.

لكن في هذا المساء كان "فرانسوا مونسو" يتمتع بمزاج طيب لأنه اكتفى بقول:

– مدهش جدا. لنر هذه الملاحظات.

مدت الفتاة إليه يدها بما دونته. اعتقدت أنه قد أمسك بالأوراق فتركها، لكنه لم يفعل، فسقطت الأوراق على المكتب في نفس اللحظة التي حاول كلاهما الإمساك بها فتلامست يديهما. اعترى "آني" اضطراب غريب. بسرعة سحبت يدها.

سألت نفسها: "ماذا يحدث لي؟ على الأقل لن أسقط فريسة لسحره!".

استغرق "فرانسوا مونسو" في قراءة التقرير. فجأة رفع رأسه قائلا:

– يجب أن أخبرك بالتدابير التي أخذتها لرحلتي القادمة إلى "المكسيك". سأسافر مع السيد "دوفان".

كان صوته حادا.

– ستبقين في "باريس". سترسلين الأعمال الجارية وستبقين على اتصال بنا. هذا أفضل.

لم تجب "آني". لقد خاب أملها. لقد أملت كثيرا ان تغادر برد شتاء "باريس" لتذهب هناك في الطرف الآخر من العالم حيث الشمس، والزهور. وربما بفضل الابتعاد عن الوطن تستطيع ان تنسى "آلان" وجراح قلبها.

أعاد "فرانسوا مونسو" الأوراق إلى "آني" وقال:

– استمري.

أخذت "آني" أوراق عملها وعندما رن التليفون الداخلي رفع "فرانسوا مونسو" السماعة. وأجاب:

– أخبريه بأنني أنتظره.

التفت نحو "آني".

– أخشى أننا لن نستطيع أن نعمل في هدوء هذا المساء. لدي زائر.

فتح الباب. ظهرت سيدة لا تعرفها "آني" يقودها "شارل". توقفت القادمة برهة عند عتبة الباب، الوقت الذي سمح بتأمل الفستان الأحمر الحريري الملتصق بجسدها والمتوافق مع لون شعرها الأسود الداكن.

متمايلة ورشيقة تقدمت نحو "فرانسوا مونسو" بدت كأنها لم تر "آني"، ولم تلق عليها التحية. قالت:

– "فرانسوا": آسفة جدا لأني أزعجك. أرى أنك تعمل مع كاتبتك، لكني أذكرك أننا سنذهب إلى المسرح هذا المساء. لا تنس ذلك... أتمنى.

نهض "فرانسوا مونسو" وتقدم نحو السيدة وانحنى وقبل يدها.

– كيف لي أن أنسى يا عزيزتي "ماريزا"؟ تفضلي بالجلوس. كنا نعمل أنا والآنسة "روبير" وسننتهي من العمل حالا.

رمقت "ماريزا" "آني" بنظرة تفتقد الود.

قال "فرانسوا مونسو" وهو يجلس:

– إني أسمعك يا آنسة "روبير".

عادت "آني" إلى الحديث. لكن من الواضح أن "ماريزا" لم تحتمل الا تكون في بؤرة الاهتمام. قاطعتها قائلة:

– آه... إني أفكر في ذلك يا "فرانسوا"! أن تعيرني ذات يوم كاتبتك. لدي عمل يجب تنفيذه. إنها قائمة جرد ممتلكاتي في "كان". إن الأمر

عاجل ولكنه ليس صعبا.

تملك "آني" الغضب بأي حق تسمح "ماريزا" هذه بمعاملتها بهذه الطريقة؟ إنها لا تتظاهر بتجاهلها فحسب بل تتحدث عنها في وجودها كأنها قطعة أثاث! لقد لاحظ "فرانسوا مونسو" بالتأكيد الطريقة غير اللائقة التي تتحدث بها "ماريزا"، وعلى الرغم من ذلك لم يحرك ساكنا. سمع دون أن ينبس بكلمة.

سألت "ماريزا" بابتسامة:

– ما رأيك في طلبي يا "فرانسوا"؟ كن لطيفا، أسد إلي هذه الخدمة، إني أكره تماما الانشغال بالمسائل المادية.

شعرت "آني" بغضب شديد. لقد غضبت من "فرانسوا مونسو" بنفس الدرجة التي غضبت بها من "ماريزا".

التفت الكاتب نحو "آني" وفي ركن شفتيه ابتسامة محيرة:

– للآنسة "روبير" أن تقرر.

أجابت "آني" في برود:

– آسفة يا سيدتي.. لست كاتبة، بالإضافة إلى أن وقتي كله لعملي الحالي. إذن فلا مجال لكي أكلف بمهام جديدة.

ساد الصمت. سألت "آني":

– هل أؤجل الأوراق الباقية إلى الغد؟

– نعم سنرى ذلك غدا. طاب مساؤك يا آنستي.

كان صوته محايدا. ولكن عندما خرجت من الحجرة واستدارت لكي تقفل الباب خلفها، رأت النظرة الساخرة التي يرمقها بها "فرانسوا مونسو".

الفصل الرابع

بعد ظهر هذا اليوم ألقى "فرانسوا مونسو" محاضرة في مسرح "ماريني" عن الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر. على الرغم من أن الوقت كان مبكرا فقد توافد الجمهور على القاعة. بذل المسؤولون عن النظام جهدا كبيرا لصف السيارات الكثيرة التي أحاطت المسرح.

عند باب دخول الفنانين أحكمت عملية التحقق من شخصية الداخلين. أظهرت "آني" بطاقة تحقيق شخصيتها فادخلها الحاجب. تبعها خلال الردهات الطويلة الخالية حتى المسرح الذي مازال خاليا في هذه الساعة وبه إضاءة خافتة من خلال مصابيح صغيرة. ملأ الهواء رائحة الكواليس المميزة، وهي خليط من رائحة الماكياج وغير قليل من الغبار. وقد خصصت حجرة النجوم الموجودة على البلاتوه نفسه لـ"فرانسوا مونسو". لم يكن قد حضر بعد. كان لـ"آني" الحق في مكتب صغير في الكواليس.

إن السيد "دوفان" قد كلف "آني" بمهمة توصيل نص المؤتمر، مسديا إليها الكثير من التوصيات؛ ذلك لاحتجازه في سفارة "المكسيك" لإتمام إجراءات السفر. كان هذا النص قد وضع بعناية في ملف وأغلق بشريطين معقودين. أخرجت "آني" النص من حقيبتها ووضعته على الطاولة. في هذه اللحظة ظهر أحد العمال وقال:

– آنستي! هل تردين على التليفون؟ يطلبون "فرانسوا مونسو".

أجابت "آني":

– بالتأكيد.

تبعت العامل.

وعندما عادت فاجأت "ماريزا" واقفة أمام باب مكتبها الصغير سألت "آني" نفسها: "ماذا تفعل هنا".

كانت "ماريزا" ترتدي معطفا ثمينا من الفراء، ووضعت ماكياجا أنيقا يبرز ملامحها الدقيقة، ولكن كان بريق عينيها الخضراوين حادا. ألقت التحية من طرفي شفتيها الحمراوين. أجابت "آني" تحيتها ودخلت المكتب الصغير.

لقد حان الوقت لمعرفة إذا كان "فرانسوا مونسو" قد وصل. أمسكت "آني" بالملف الموضوع على الطاولة. كان الشريطان اللذان يقفلانه مفكوكين. دهشت "آني" لذلك. اعتقدت أنها كانت متأكدة أنهما معقودان. همت بعقد الشريطين عندما لاحظت شيئا يشد انتباهها. كانت الصفحات غير مرتبة. أحد ما قد لمسها، برفق تحققت الفتاة منها ورقة ورقة. نقص منها ثلاث ورقات: أهم أجزاء المؤتمر. كانت هذه الصفحات هي محور المؤتمر.

متوردة الخدين تحققت "آني" مرة أخرى من الصفحات. لا يوجد شك في أن هناك صفحات ناقصة. يا لها من كارثة! كانت الفتاة متأكدة أنها قد وضعت النص كاملا في الملف. وها هو المؤتمر سوف يفشل بسببها... في لمحة تذكرت "آني" أنها قد رأت "ماريزا" أمام الباب تحملق إليها بعينيها القاسيتين. هل كانت "ماريزا" هي المسؤولة عن اختفاء الأوراق؟ خرجت "آني" لتبحث عنها في يأس، والملف في يدها. ستذهب للبحث عنها في كل مكان حتى في جهنم.

لم تضطر للذهاب بعيدا.

خلال وصول "فرانسوا مونسو" في تلك الأثناء دخل ليتحدث في حجرته مع رئيس المؤتمر، كانت "ماريزا" تنتظره بالقرب من الحجرة.

توجهت "آني" مباشرة نحوها. انقضت عليها كأنها تلقي بنفسها في الماء.

قالت مشيرة إلى الملف:

– سيدتي، هناك صفحات ناقصة من هذا النص. أطلب منك أن تعيديها، يجب أن أسلم النص كاملا وبسرعة إلى "فرانسوا مونسو".

وأكدت كلمة "كاملا".

قالت "ماريزا" في كبرياء:

– ماذا تريدين مني؟

– أنت تعرفين جيدا.

– لا أعرف عما تتحدثين.

– هل أنت متأكدة من ذلك؟

– دعيني وشاني. ساشكو إلى "فرانسوا مونسو" وقاحتك.

كانت السيدتان وجها لوجه تتبادلان نظرات التحدي كانهما متحاربتان تتبادلان الوعيد قبل النزال.

قالت "آني" بصوت منخفض:

– سيدتي، أقسم أنك ما لم تردي إلي – على الفور– الصفحات التي أخذتها. ساخبر "فرانسوا مونسو"، وساشرح له لماذا هذا النص ناقص؟

– أنا أخذت صفحات؟! أنت مجنونة.

– لقد أخذتها. هل ستعيدينها لي، نعم أم لا؟ الوقت يمر.

في هذه اللحظة رن الجرس معلنا قرب بداية المؤتمر، كانت أعصاب "آني" في أسوأ حال. لاحظت التردد على وجه "ماريزا".

قامت "آني" بمحاولة أخيرة يائسة، محاولة أن تحتفظ بهدوئها.

– الأوراق التي أخذتها عن طريق الخطأ.

رفعت "ماريزا" كتفيها وفتحت حقيبتها في لا مبالاة.

قالت وهي تخرج الأوراق المجعدة:

– لم آخذها عن طريق الخطأ. أردت أن أقراها قبل المؤتمر. حدثني "فرانسوا" طويلا عن هذه الوثائق. خذي، ها هي. لا داعي لكل هذه التمثيلية.

أخذت "آني" الصفحات وفردتها وتأكدت أنها كاملة ووضعتها في الملف.

في هذه اللحظة خرج "فرانسوا مونسو" من حجرته. رأى السيدتين وجها لوجه، شعر بأن هناك شيئا ما يدور بينهما. راحت نظراته تنتقل بين الواحدة والأخرى.

سأل "آني":

– هل معك نصي؟

قالت بصوت مازال مرتعشا:

– ها هو.

أخذه ونظر إلى "آني" دهشا كأنه يراها أول مرة. الانفعال الكبير الذي عاشته قد أضفى على بشرتها لونا متوردا. لمعت عيناها الزرقاوان اللتان

تشبهان زرقة السماء بعد العاصفة بلمعة غير معتادة، شعرها وقد أطلقته هذا اليوم كأنه قد احتفظ بكل الأضواء المحيطة وشكل حول وجهها هالة شقراء.

خلال بضع لحظات بقي "فرانسوا مونسو" ساكنا، متسمرا في مكانه كأنه يتأمل شيئا لا يراه الآخرون. وبجهد استدار وقال:

– لقد حان وقت الذهاب.

خلعت "ماريزا" في عصبية قفازها.

*****

كان هناك عدد كبير من الحاضرين حتى إنهم اضطروا إلى إضافة مقاعد في الصالة. جالسة في الكواليس، شاهدت "آني" ما يدور على المسرح: كان "فرانسوا مونسو" يتحدث واقفا أمام طاولة عالية. منذ قليل، دوى تصفيق الحضور عند دخوله المسرح لتحيته. الآن الجميع يستمعون بأسرهم إلى صوته الأجش ذا النبرات الدافئة.

نجح المؤتمر نجاحا كبيرا. وفي كل مرة ينزل من فوق المنصة يناديه الجمهور متحمسا فيضطر للعودة لتحيتهم. مما اضطر مدير المسرح إلى إضاءة أنوار المسرح وإسدال الستائر الحمراء حتى يقرر الجمهور الرحيل.

كانت الحفلة التي تبعت المؤتمر ناجحة أيضا.

تحول قلب المسرح إلى صالة استقبال على الطاولات الطويلة المفروشة بالمفارش المطبوعة. كان هناك خيارات عديدة بين الكافيار وكبد الإوز والجاتوه والتورتات. قدمت على أطباق فضية الشوكولاتة وفطائر الفاكهة، وكل أنواع المقليات. أعداد كبيرة من زجاجات الشراب كانت قد وضعت، كما كان هناك أيضا عصير الفاكهة، بالإضافة إلى الجيلاتي.

الخدم في زيهم المميز يقفون خلف الطاولات. البعض في ستراتهم وقفازاتهم البيض يطوفون بين حشد المدعوين يقدمون البيتي فور والمرطبات.

اقتربت "آني" من البوفيه واختارت بعض الأصناف. لاحظت الحشد المجتمع حول "فرانسوا مونسو" تدافعت أجمل نساء "باريس" لتهنئته. لمع

www.elromancia.com

فلاش الكاميرات. مد مراسل الإذاعة ميكروفونه إلى "فرانسوا مونسو" محاولا التقاط تصريحات للروائي وسط هذا الصخب.

وصل إلى "آني" مقتطفات من الحديث. تحدث الكاتب عن سفره القادم إلى "المكسيك"، كانت "ماريزا" تقف قريبا جدا منه، ولا تتركه لحظة. رأتها "آني" تمسك بيد الروائي. فادار وجهه الجميل المفعم بالرجولة إليها وابتسم.

شعرت "آني" بان طعامها قد فقد لذته فوضعت الطبق على أحد الطاولات. فجأة شعرت بالتعب، ربما للموقف الصعب الذي تعرضت له لفقد الأوراق. وكانت "ماريزا" توزع الابتسامات والتحيات على كل المحيطين كانها ملكة الحفلة.

فكرت "آني": "لا يهم ما تفعله "ماريزا"، المهم الا تفعل ما يؤذيني؟".

وبعد قليل سالت نفسها من جديد مغتاظة.

"لماذا إذن أشعر بهذا الحزن، ولماذا لا أستطيع أن أمنع نفسي من الشعور بوخز في قلبي عندما أرى "فرانسوا مونسو" يلتفت نحو "ماريزا" مبتسما؟

– هل تريدين شرابا يا آنستي؟

كان ذلك أحد المدعوين يخاطب "آني". لقد لاحظ هذه الفتاة الشقراء وحيدة وسط الحشد تبدو غارقة في أفكارها مما يلقي ظلالا على جمالها.

مد إليها المدعو يده بكأس شراب. اخذتها "آني" وارتشفتها في سرور. شعرت الفتاة بتحسن. لماذا تستسلم للحزن؟ هذه حماقة. يجب أن تتجاوب مع جو الاحتفال المحيط بها.

كانها تطرد من رأسها أفكارا دخيلة. هزت "آني" رأسها فهزت أمواج شعرها الذهبي.

لاحظت "فرانسوا مونسو" الذي بدا يبحث عن شخص ما لحظه من خلال الجمهور تقابلت نظراتهما. أدارت "آني" بصرها على الفور. أخذت كأسا آخر من الشراب وغمست شفتيها في كوبها.

الفصل الخامس

كانت هناك استعدادات السفر: جوازات السفر، الفيزا، الحجز. الملفات. كان الأسبوع الأخير مزدحما بالعمل. كان لدى "آني" العديد من المهام التي عليها تنفيذها، فلم يكن لديها لحظة لالتقاط انفاسها. أما السيد "دوفان" فلم يجد الوقت ليتحدث معها بسبب انشغاله إلا في حالة تزويدها بالإرشادات. أما "فرانسوا مونسو" فقد لاذ بمكتبه كانه في برج عاجي لا يراه أحد.

أخيرا جاء يوم الرحيل. خرجت "آني" من المكتبة وذهبت إلى الردهة لتودع "فرانسوا مونسو"، والسيد "دوفان" كانت الحقائب تنتظرهما بالفعل. فتح الباب وظهر الروائي. كان يرتدي ملابس رياضية ومعطفا مريحا من جلد الجمل.

لم تستطع "آني" أن تمنع نفسها من الإعجاب بأناقة "فرانسوا مونسو"، كان يبتعد في ملابسه عن المبالغة في التأنق، وكان يبدو كانه لا يعير اهتماما لما يرتديه، ولكنه كان يبهر الآخرين ببساطته الطبيعية.

ودع "فرانسوا مونسو" "آني" بكياسة.. كانا بمفردهما في الردهة. أتمنى أن يكون كل شيء على ما يرام أثناء غيابنا. لقد شرح لك السيد "دوفان" ما يجب أن تفعليه. إنه يعتمد عليك فلا تخذليه، إني أثق بك أيضا؛ إنك امرأة ذكية.

ابتسم ابتسامة كشفت عن أسنانه البيضاء. وقال:

– إن النساء جميعهن يتمتعن بالذكاء. إنهن الجنس القوي والجميع يعرف ذلك. جميلات مثل النهار، وصافيات مثل المياه، هكذا يقول الشاعر.

إنه مازال يبتسم، ولكن ابتسامة بها سخرية شريرة لم تعجب "آني".

سالت نفسها في دهشة: "لماذا يقول ذلك؟ عم يبحث؟ يبدو كانه يريد أن يجرحني؟".

قالت بصوت عال:

– سابذل قصارى جهدي يا سيدي.

– حسنا، إلى اللقاء.

صافح "آني" التي شعرت بدفء ملمس يده، ومن جديد استسلمت لهذا الشعور العذب.

دهشت للمعة التي لاحظتها في عيني "فرانسوا مونسو"... لمعة باردة، الاقتناع المتهكم لشخص واثق بفعله، مستمتعا بإثبات عدم مقاومة الآخر، وعدم رغبته حتى في المقاومة.

اعترى "آني" غضب مفاجئ. وبحركة سريعة سحبت يدها. فكرت: "إنه يحاول أن يلعب بي كالوحش الذي يلعب بفريسته كما يلعب بالتاكيد بكل النساء".

كانت مجروحة بقدر ما، كانت غاضبة. كان هناك شيء من الازدراء في ابتسامته، كما كان في سلوك "فرانسوا مونسو" تجاهها شيء ما ضد كبريائها رفضت أن تقبله.

قررت في نفسها: "بمجرد أن يعود من "المكسيك" ساقدم استقالتي".

وصل السيد "دوفان" إلى الردهة، وجوازي السفر في يده. قال:

– نستطيع أن نرحل.

التفت نحو "آني"،

– إلى اللقاء يا آنستي العزيزة، إذا قابلت أدنى مشكلة فلا تتردي في الاتصال بي في "المكسيك". وحظا سعيدا.

صافح "آني" في ود.

وحياها "فرانسوا مونسو" دون أن ينبس بكلمة. خرج الرجلان ووجدت "آني" نفسها بمفردها في الردهة. عادت إلى المكتبة منفعلة.

فكرت: "يا له من إنسان غريب! هل هو قاس إلى هذا الحد الذي يبدو عليه؟ أحيانا يشعر المرء كأنه لا يعتقد في شيء، إنه يكره الجنس البشري وخاصة النساء. هو الذي يعد "دون جوان"! لكن كيف يستطيع إذن أن يكتب قصص الحب المؤثرة التي يكتبها؟

غير قادرة على التركيز بسبب انفعالها ذهبت الفتاة لتقف أمام الشباك.

أوصل "شارل" مدير المنزل– الذي يتحول عند الحاجة إلى سائق– "فرانسوا مونسو" والسيد "دوفان" إلى مطار "رواسي"، وعاد من هناك

حزينا. كان يتمنى أن يسافر معهما، وأسف لأنه بقي في "باريس" ليواسي نفسه. أعد القهوة وقدم منها إلى "آني". كانت الفتاة أيضا تشعر بالحزن، فقبلت القهوة في سرور.

بدا سعيدا لأنه وجد من يسمعه، روى "شارل" البدايات الصعبة للكاتب "فرانسوا مونسو" الذي يكن له كل إعجاب. لقد تعرف إليه قبل أن يعمل في خدمته. في هذا الوقت كان "فرانسوا مونسو" شابا مبتدئا، وكان "شارل" مدير منزل الناشر.

مر "فرانسوا مونسو" بسنوات عجاف لم يهتم أحد به ككاتب مغمور. لم تكن كتبه تباع، لقد حارب بشراسة حتى يفرض الأسلوب الجديد في أعماله، كذلك كان في الوقت نفسه متيما بفتاة شابة تدعى "سابين".

تنهد "شارل" عند الحديث عن هذا الموضوع.

لم تستطع "آني" أن تمنع نفسها من طرح السؤال الذي يحرق شفتيها.

– وماذا أصبحت؟

– آه! النساء!!

رفع "شارل" ذراعيه إلى السماء كأنه يشهدها على رأيه.

– لقد تركته. نعم تركته. ومن أجل من؟ من أجل تاجر لحوم، ولكنه واسع الثراء حتى إنه لا يعرف ماذا يفعل بالمال. ومنذ ذلك الوقت و"فرانسوا مونسو" يعيش في مأساة. إن اعتداده بنفسه منعه من محاولة الاحتفاظ بالمرأة التي يحبها والتي تركته لمصلحة! لقد شعر بخيبة أمل كبيرة، واستغرق وقتا طويلا لكي يبرأ منها، ومع ذلك لم يشف منها قط.

– كيف حقق النجاح؟

– لقد انتهت الأمور إلى صالحه. اكتشف ناقد مشهور أن "فرانسوا مونسو" يتمتع بموهبة ورشحه لجائزة أدبية. وفي يوم وليلة أصبح روائيا مشهورا يبحث عنه كل العالم. جاء المال مع الشهرة، لكن لم يعد "فرانسوا مونسو" كسابق عهده مع النساء. إنه يعيش مغامرات بالتاكيد، لكني متأكد أن قلبه قد مات منذ أن كسرته "سابين".

سألت "آني":

– هل كانت جميلة؟

– آه... لقد كانت جميلة جدا. طويلة، ممشوقة، شقراء مثلك. نفس هيئتك، إنك تشبهين "سابين". لقد لاحظت ذلك في أول مرة رأيتك.

استغرق "شارل" في سرد الذكريات حتى وصل بحديثه إلى الإقامة في هذا المنزل الخاص في "قارين"، لكن "آني" لم تعد تسمع.

إذن هذا الروائي ذائع الصيت، الرجل المتعالي، الواثق جدا بنفسه كان شابا فقيرا ومغمورا ثم صار الـ"دون جوان" صاحب المغامرات النسائية التي لا تحصى. عرف ألم الهجر عندما تخلت عنه المرأة التي يحبها. لقد أصبح الآن بالنسبة لها أكثر آدمية. لكن الصورة التي وصفها "شارل" توا كانت مختلفة تماما عن الصورة التي كونتها "آني" لـ"فرانسوا مونسو" حتى إنها بقيت مترددة.

لم يتوقف "شارل" عن الثرثرة.

– إني أقول لك ما أراه. أخشى أن تصل هذه السيدة إلى أغراضها. لكن ستكون خسارة كبيرة إذا تزوجها.

خفض صوته.

– إنها امرأة سيئة.

سألته "آني":

– عمن تتحدث؟

– عن "ماريزا"! إنها ماكرة صدقيني. إني ألاحظ تصرفاتها. ما لم ينتبه فسينتهي أمره. لكني أثرثر، وأثرثر وأضيع وقتي وأجعلكم تضيعون وقتكم. هل تريدين قدحا آخر من القهوة؟

– لا، شكرا.

لم تستطع "آني" أن تعمل كثيرا. كانت فريسة لمشاعر متناقضة. تارة تجد أعذارا لسلوك "فرانسوا مونسو" تجاهها، وتارة تجد نفسها بصراحة غير قابلة لهذه المعاملة، خاصة أنها تشعر بالغيظ في كل مرة يذكر فيها اسم "ماريزا".

عندما دقت الساعة السادسة أقفلت "آني" ملفاتها بسرعة وخرجت. الهواء البارد يشعرها بتحسن. سارت على غير هدى. حل الظلام وكانت النوافذ الزجاجية تعكس الإضاءة داخل المباني. إحدى هذه النوافذ جذبت

انتباه الفتاة. كانت مكتبة. شغل منتصف واجهتها صورة كبيرة لـ"فرانسوا مونسو" توقفت "آني" أمام الصورة. فم الروائي يبتسم، ولكن بقيت عيناه صارمتين مظلمتين بظلال من الحزن.

الكفاح الكبير الذي بذله "فرانسوا مونسو"، وخيبة الأمل التي أصيب بها، أليسا جديرين بتغيير شخصيته؟ من كان "فرانسوا مونسو" الحقيقي؟

www.elromancia.com

الفصل السادس

في هذا المساء أخذت "آني" تتقلب طويلا في فراشها بحثا عن النوم الذي هرب منها.

لم تكف عن سؤال نفسها: "هل أنا مازلت متعلقة بـ"آلان" إلى هذه الدرجة حتى إنني مجرد أن فحته بالمصادفة في الشارع أُصاب بكل هذا الاضطراب؟ وعندما كانت ذاهبة للتسوق تصادفت "آني" وجها لوجه في شارع "سافر" مع "آلان" الذي كان متوجها نحو مستشفى "لاينك". لتتجنب مقابلة كانت ستتسبب لها في ألم كبير.

اخترقت "آني" الطريق بسرعة كبيرة. اعتقدت أنها قد طردت هذه الذكرى من ذاكرتها، وها هي الآن تشعر بعصبية كبيرة.

غلبها النوم دون أن تشعر. رأت في الحلم أنها في حديقة رائعة حيث الزهور بالوان مبهجة متفتحة حولها، والعصافير تغرد محلقة في السماء. شعرت "آني" باشعة الشمس الرقيقة على بشرتها... وقدماها العاريتان تطآن سجادة رخوة من الحشائش.

كانت تنتظر شخصا ما. انتفضت عندما سمعت حفيف أوراق الأشجار. رأت رجلا طويلا خلف الأشجار. "آلان": "إنه هنا، توجهت إليه وقلبها يدق بسرعة هائلة. اقترب "آلان" وشرع يضمها بين ذراعيه. رأت شعره الأسود، عينيه الحادتين ووجهه المفعم بالرجولة. إنه ليس "آلان،" إنه "فرانسوا مونسو".

بلطف بالغ أحاط وجه "آني" بيديه. فقدت "آني" أي مقاومة وهمست: "فرانسوا". وتقابلت شفاههما في قبلة طويلة.

وفي هذه اللحظة دق الجرس معلنا بداية المؤتمر. شعرت "آني" بالقلق.

فكرت: "الأوراق الناقصة ماذا ستقول لـ"فرانسوا" عندما يعرف؟".

أرادت "آني" أن توقف الرنين، ولكن اقترب الصوت أكثر فأكثر وأصبح أكثر وضوحا وقوة...

كادت تسقط المصباح المجاور للسرير وهي تبحث عن قاطع التيار في الظلام. أضاءت النور وبقيت لحظات جالسة في السرير في دهشة؛ لقد

كان حلما.

زفرت في أسف:

على الطاولة المجاورة للسرير رن جرس التليفون، رفعت "آني" السماعة. سمعت صوتا نسائيا ذا لهجة أجنبية حدثها قائلا:

- ألو؟ رقم ٢٢٤٩٦٠٤؟ ابقي على الخط، لك مكالمة انتظار. ثم جاءها صوت جديد، صوت حاد له نبرة دافئة.

- ألو؟ ألو "آني روبير"؟ هل تسمعينني؟

كانت "آني" غير قادرة على الإجابة.

- ألو؟ ألو؟

على الطرف الآخر من الخط كان محدثها موشكا أن يفقد صبره.

- هل تسمعينني؟

لم تكن "آني" تعرف أين انتهى الحلم وأين بدأت الحقيقة.

همست:

- نعم إني أسمعك.

- هذا "فرانسوا مونسو" أرجو المعذرة لإزعاجك في مثل هذا الوقت المتأخر، ولكن الأمر عاجل جدا. بعد وصولنا ببضعة أيام أصيب السيد "دوفان" بأزمة قلبية، وهو الآن في المستشفى. توقف كل عملي، هل تستطيعين أن تأتي لتنضمي إليّ في "المكسيك"؟

استمعت إليه "آني" غير مصدقة. وفي أثناء انفعالها وصلت إليها أجزاء من الحديث.

- اتصلي بمكتب الطيران... طائرة... درجة أولى... هناك. كارت ضمان باسمك في البنك... أرسلي برقية بيوم وساعة وصولك... ألو؟ هل فهمت؟

قالت "آني":

- نعم... نعم فهمت جيدا.

- إلى اللقاء إذن، إني أنتظرك. طاب مساؤك.

هناك في الطرف الآخر من العالم وضعت سماعة التليفون. ووضعت "آني" السماعة.

همست:

- "فرانسوا".

تورد خداها لهذه الجراة وكانها ارتكبت أمرا فاضحا. أطفأت النور وانزلقت في فراشها الدافئ، ومن جديد رددت عدة مرات "فرانسوا"... "فرانسوا"... "لم تكن تعرف إذا كان هذا النداء موجها لـ"فرانسوا مونسو" الحقيقي أو لبطل حلمها الذي أملت- من كل قلبها- أن تعاود رؤيته في نومها.

الفصل السابع

"القائد "برنارد لانجلوا" والطاقم يرحبون بكم على طائرة "إير فرانس" "باريس" - "المكسيك" برجاء ربط الأحزمة والامتناع عن التدخين. سنقلع الآن.

عبر الميكروفون أعلن صوت المضيفة العذب للركاب الجالسين في الطائرة تعليمات الإقلاع.

نظرت "آني" إلى ساعتها، كانت الساعة العاشرة والربع. كانت السماء صافية وشمس شهر آذار (مارس) مشرقة.

ربطت حزامها ونظرت من خلال الشباك. تحركت الطائرة. أثناء وقت طويل سارت في الممر المخصص لها. فجاة دون أي اهتزاز لاحظت "آني" دهشة أن الطائرة لم تعد تلمس الأرض. ببطء ارتفعت الطائرة ورأت الفتاة البيوت كأنها بيوت الدمى. على طريق ضيق كالشريط لاحظت صناديق ملونة تتحرك بسرعة في اتجاهين. إنها السيارات.

عندما وصلت الطائرة إلى الارتفاع الذي ستستمر عليه أثناء الرحلة استطاع المسافرون فك الأحزمة.

أغلب الركاب بدا عليهم أنهم من أولئك الذين اعتادوا السفر. أما بالنسبة لـ"آني" فقد كان كل شيء جديدا. لم تستطع أن تنزع بصرها عن المنظر الجديد عليها: منظر الأرض من أعلى.

جاء المضيف يدفع طاولة متحركا في الممر المركزي، ومضيفة تقدم لركاب الدرجة الأولى كاس عصير فاكهة للترحيب. استندت "آني" إلى مقعدها الوثير لترتشف العصير.

منذ المحادثة التليفونية التي تلقتها في قلب الليل من "فرانسوا مونسو"، والفتاة تعيش في جو من الخيال. الأيام القليلة التي فصلتها عن موعد السفر مرت بسرعة كبيرة حتى إنها شعرت كأنها مرت بزوبعة.

ولقد كانت مساعدة "شارل" لها ذات قيمة كبيرة. لقد اقترح عليها أن يقوم بتوصيلها بالسيارة ومساعدتها على تتميم إجراءاتها. منذ أن عرف أن "آني" ستنضم إلى "فرانسوا مونسو" في "المكسيك". أبدى رضاءه

www.elromancia.com

بشكل يثير الدهشة، دون أن يبدي أي تعليق.

ذات يوم، بعد الظهر عند خروجها من سفارة "المكسيك"، قال لـ"آني":

– هذا ليس كل شيء... هل فكرت في ملابسك؟

– ملابسي؟

– نعم، هذا مهم جدا. إن "فرانسوا مونسو" يحب أن تكون النساء اللاتي يحطن به في ملابس جميلة. له ذوق رفيع في ذلك وقد اشتهر به، إنه يرى كل شيء! ولا تنسي أنك ستنزلين في فندق "ماريا إيزابيل" شيراتون، وهو أكثر فنادق "المكسيك" أناقة!

قالت "آني" معترضة:

– لكن دولابي متواضع.

– أليس لديك صديقة أو زميلة تستطيع أن تقرضك بعض الفساتين؟

عندئذ تذكرت "آني" صديقة طفولتها "ماري لو" التي أصبحت عارضة أزياء. إن لقاءاتهما كانت نادرة، ولكن صداقتهما التي نشأت في الطفولة لم تكن قد انتهت. اتصلت بها "آني"، إن "ماري لو" ذات قلب طيب وتحب مساعدة الآخرين، فهي لن ترفض مساعدة صديقتها.

أضاف "شارل":

– ولا تنسي، لا تلجئي للون الأخضر خاصة! إنه اللون المفضل لـ"سابين" حبيبته السابقة.

استقبلت "ماري لو" "آني" بفرحة ظاهرة. لقد سلكت كل منهما طريقا مختلفا في الحياة، وشيئا فشيئا تلاشت لقاءاتهما. ولكن عندما التقتا أصبحتا من جديد الطفلتين اللتين تتقاسمان الحلوى وتشتركان في كتابة موضوعات الإنشاء.

الصبية السمراء تحولت إلى فتاة جميلة فارعة الطول، لها ساقان طويلتان وقوام رشيق. بعد عدة فصول من عملها كعارضة أزياء لدى أكبر أسماء عالم الموضة استقلت وأصبحت عارضة أزياء حرة كما تقول. وعلى الفور أصبحت ذائعة الشهرة في أوساط الموضة تحت اسم "سنتيا".

لكن بالنسبة لـ"آني" كانت دائما "ماري لو". بعد لحظات الترحيب الأولى جلست الصديقتان على أريكة كبيرة في شقة "ماري لو". وهما

تشربان الشاي وتقضمان البسكويت أفضتا بأسرارهما. تحدثت "آني" عن "آلان" وعن انفصاله عنها وخيبة أملها.

قالت "ماري لو":

– هذا لا يدهشني. كل الرجال يتشابهون. إنهم يجيدون الحديث عن الوعود ويحاولون دائما التأثير فيك. لقد أحسنت صنعا بالابتعاد عنه. إن جمالك لن يجعلك تنتظرين كثيرا من هو أفضل منه.

"ماري لو" هي أيضا كان لديها الكثير الذي تحكي عنه. قصص حبها كانت معقدة للغاية. كانت تحب أن تخرج وتلهو أو كما تقول "أرادت أن تستغل شبابها".

كانت "آني" قد حدثت "ماري لو" بالفعل عن الموقف في التليفون ولماذا تحتاج إلى ملابس أنيقة؟ كانت "ماري لو" قد بحثت عن الفساتين التي تستطيع بدورها أن تعيرها إلى "آني"، ولكن رأت "ماري لو" غرابة في اختيار "آني" لهذه الوظيفة. قالت:

– فتاة جميلة مثلك تقضي وقتها في التنقيب بين أوراق المكتبة العامة! إنه عمل فتاة عانس! كم ستنجحين إذا أصبحت عارضة أزياء! إن لك قواما يضاهي الكمال، ألا تريدين أن أتحدث عنك لدى "سان لوران"؟ضحكت "آني" وأبدت عدم رغبتها على الإطلاق في العمل كعارضة أزياء لدى مصمم أزياء كبير. لكنها لم تستطع أن تقنع صديقتها.

– إنها جريمة أن تخفي جمالك بين كتب المكتبة، في النهاية أتمنى أن تستطيعي بواسطة الفساتين التي سأقرضها لك اختراق قلب الأمير الساحر.

كانت "ماري لو" متحمسة لرحلة صديقتها.

– أنت محظوظة لسفرك إلى "المكسيك" وخاصة لأنك ستقيمين بها. أنا عندما أسافر لأقدم مجموعة من الأزياء ليس لدي وقت سوى رؤية المطار والفندق والصالونات حيث أقدم العرض ومن وقت لآخر الملاهي الليلية. أما أنت فإنك تتحدثين عن سياحة.

إذا كانت "آني" قد تحدثت كثيرا عن عملها فإنها لم تذكر سوى اسم "فرانسوا مونسو". وكانت "ماري لو" هي من اخترق هذا الموضوع:

– لك أيضا حظ وفير أن يكون مديرك وسيما مثل "فرانسوا مونسو".

خذي حذرك، إنه معروف في "باريس" بأسرها، إنه يحب الإيقاع بالسيدات الجميلات، ولهذا لا يتراجع أمام أي جهد. ولكن عندما يحصل على ما يريد، أوه! إنه يتركهن بكل برود. هناك الكثيرات اللاتي خدعهن بالأوهام فدفعن ثمن ذلك غاليا. قائمة ضحاياه لا تنتهي.

لم تجب "آني".

جربت الفتاتان العديد من الفساتين حتى ساعة متأخرة من المساء وسط ضحكاتهما المرحة.

وأخيرا وقع اختيار "آني" على عدة فساتين: قطعتان من القماش الأزرق، فستان من الشانتونغ الطبيعي بدون كمين في خط مستقيم يبرز رشاقة قوامها. ثم فستان لبعد الظهر من الحرير الطبيعي المطبوع بألوان الأبيض والبنفسجي والأحمر.

وكان الاختيار صعبا بالنسبة لفستان المساء. أعارتها "ماري لو" فستانين. لقد اختارت الفستانين المفضلين لديها: واحد من الموسلين صدره مضبوط وله جيب واسعة من البليسيه ولونه أخضر برنزي.

جربته "آني" بإصرار من "ماري لو" التي قالت لها ناصحة.

– خذي هذا الفستان. خذيه إنه جميل جدا. هذا الأخضر يتناسب مع عينيك الزرقاوين. إني أؤكد لك أن هذا التناقض يبرز جمال عينيك.

أرادت "آني" أن تستعير الفستان الآخر أيضا، كان من تصميم "كريستيان دي ديور"، فقد كان فستانا رقيقا وردي اللون.

ترددت الفتاة طويلا. أصرت "ماري لو" على الفستان الأخضر الذي انتهى الأمر بأن اقتنعت به "آني" ولكن في اللحظة التي يجب عليها أن تأخذ فيها القرار سمعت في أذنها عبارة "شارل" تجنبي اللون الأخضر. إنه اللون المفضل لـ"سابين".

اختارت الفستان الوردي وحزنت "ماري لو" لذلك.

– أنت مجنونة لابد أنك مجنونة حتى ترفضي هذا الفستان الأخضر الجميل.

ابتسمت "آني" ابتسامة غامضة.

– في الحقيقة أجد أنه من العقل ألا آخذ هذا الفستان.

وضعت المضيفة أمام كل راكب قائمة طعام الغداء. قرأتها "آني":

مرق مركز بارد

كبد الإوز

دجاج

تفاح طازج

جبن

آيس كريم

بيتي فور

قهوة

عصائر فواكه

مياه معدنية

قالت "آني" لنفسها: "إنها قائمة شهية. أشعر بأنني سأقترف رذيلة الشره اليوم.

www.elromancia.com

الفصل الثامن

هدهد أزيز الموتور المنتظم والمسموع بصعوبة "آني" ألقت نظرة من خلال الشباك فرأت البحر هادئا وممتدا. تكتلات من السحاب الأبيض الخفيف تتابعت في السماء. أحيانا كانت الطائرة تخترق إحداها وكأنها تدخل في قطعة قطن.

مرت مضيفة. كانت تمسك بيدها صينية كبيرة عليها البونبون... قدمت منها إلى "آني".

أغمضت الفتاة عينيها واستروحت في مقعدها. شعرت بلذة أن تكون محاطة بهذه العناية وسط الرفاهية والراحة. هذه الرحلة ذكرتها بالقصص التي كانت تسمعها في طفولتها عن الساحرات اللاتي يحولن بضربة من عصيهن السحرية البطلة إلى أميرة تركب عربة طائرة حيث يعتني بها مجموعة من الجن الطيبين ويقدمون لها وجبات لذيذة.

ابتسمت مستسلمة لأحلامها السعيدة.

لقد نامت في وقت متأخر الليلة الماضية، بعد أن تناولت العشاء لدى "ماميتا". لقد شفيت السيدة العجوز التي أنهكتها السنون من الإنفلونزا حديثا. كان وجهها الرقيق شاحبا وجسدها النحيل مازال واهنا. لكنها أصرت على أن تمضي "آني" هذه الليلة الأخيرة لها في "باريس" معها.

عبرت الفتاة عن سعادتها بالسفر إلى "المكسيك". وفي خجل غريب لم تستطع معرفة سببه تحدثت باختصار عن "فرانسوا مونسو". ولم تبد "ماميتا" أي تعليق طوال السهرة، ولكن عندما جاء وقت رحيل "آني" سألت السيدة العجوز:

– هل تعرفين يا عزيزتي كم عمري؟

نظرت إليها "آني" في حيرة.

استطردت "ماميتا":

– حسن، إنني في السادسة والسبعين.

سألتها "آني":

– لماذا هذا السؤال، هل تشعرين بالم؟

– لا يا عزيزتي، لكني أشعر بأنني في السن التي أفكر فيها في الزواج.

ضحكت "ماميتا" أمام دهشة "آني".

– أوه ليس بالنسبة لي ولكن بالنسبة لأولئك الذين أهتم بهم. بالنسبة لك مثلا، أريد أن أراك مستقرة في حياتك في صحبة جيدة عندما تأتي ساعة رحيلي.

– أرجوك لا تتكلمي عن شيئين لا يعجباني رحيلك وزواجي. أنت تعرفين أن مجرد التفكير في أن أفقدك غير محتمل بالنسبة لي على الإطلاق. أما عن التفكير في الزواج فلست مستعدة للوقوع في الحب بهذه السرعة، وبما أنني غير مقتنعة بأن أتزوج بدون حب، وحب متبادل. فإن نتيجة لذلك لن تكون خطبتي غدا.

هزت السيدة العجوز رأسها في شك.

– عزيزتي، الحب ساحر يعرف كيف يوقعك تحت سحره. إنه يستخدم كل الوسائل السحرية للسحر الأبيض والسحر الأسود، ويكون متأخرا جدا اكتشافك أي السحرين استخدم.

لقد استغرقت "ماميتا" في ذكريات بعيدة. وزفرت:

– يرتدي الحب في أغلب الأحيان مظهرا جذابا جدا لأسرك.

– "ماميتا"، أنت تعرفين جيدا أنني فتاة عاقلة وواقعية.

– نعم يا عزيزتي، إني مقتنعة بأنه لا يمكن إغواؤك.

لم تتبادلا كلمة أخرى عن هذا الموضوع. أدركت كل منهما فكرة الأخرى.

أضافت "ماميتا":

– عندما تكونين في "المكسيك"، إذا كان لديك وقت اذهبي إلى دير أخوات "لا فيتاسيون". مدير الدير هي الأم "فيلومين" وهي فرنسية. لقد عرفتها قديما وكنا حميمتين. انقلي إليها تحياتي وقبليها من أجلي.

عندما وعدتها "آني"... احتضنتها "ماميتا" بشدة طويلا.

– اذهبي يا عزيزتي، إني أثق بك. تصاحبك تمنياتي لك بالتوفيق. أنت محظوظة؛ لأنك في العشرين وتذهبين في مثل هذه الرحلة الجميلة.

نظرت إلى ساعتها. مازالت هناك عدة ساعات للهبوط. عند وصولها إلى

"المكسيك" لن يكون النهار قد انتهى بعد، بينما ستكون الساعة قد تعدت منتصف الليل.

سألت "آني" نفسها: "كيف ستتصرف أمام هذا الفرق في التوقيت، بالإضافة إلى وجود مدينة "المكسيك" على ارتفاع ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر: على أية حال فمنذ أكثر من ستمائة عام احتملت أجيال من السكان هذا الارتفاع وساحاول أن أفعل مثلهم، ولكن في الأيام الأولى قد يظهر علي الإجهاد. ليتني لا أبدو غير محتملة غدا.

غدا؟ ستكون في مواجهة "فرانسوا مونسو". لم تستطع أن تمتنع عن التفكير فيه. كيف سيكون مزاجه؟ كيف ستعرف ذلك؟ إنه رجل لا يمكن التنبؤ بردود أفعاله. هل سيبدو متعاليا متغطرسا؟ أم ودودا؟ كانت "آني" تعرف خطورة تواجدها إلى جوار رجل مشهور وجميل مثل الكاتب "فرانسوا مونسو" سيكون عليها قبل كل شيء مجاهدة نفسها لتقاوم انبهارها بهذا الرجل، ذلك الانبهار الذي تخضع له دون إرادتها.

زفرت "آني" فجأة. شعرت بضعفها أمام الفخاخ التي نصبت تحت قدميها. شعرت بالتعب، لقد أنهكت قواها. ألم يكن من الحكمة أن ترفض الذهاب إلى "المكسيك"؟ الآن الوقت متأخر جدا لتطرح على نفسها هذا السؤال. لقد نفذ السهم. لا تستطيع التراجع... لابد من المواجهة.

قالت "آني" لا يجب أن أتصرف مثل الصبية الساذجة. في أيامنا الفتيات- حتى الصغيرات- لسن مثل الحملان التي تخشى الخطر. على أية حال ربما لن يفكر "فرانسوا مونسو" على الإطلاق في مغازلتي. إني لست آتية إلى "المكسيك" لهذا الغرض؛ إني آتية من أجل العمل. وهذا كل شيء.

غلب النعاس الفتاة. من وقت لآخر تتنبه لما يدور حولها ثم تعود للنوم من جديد.

مرت المضيفة عدة مرات ومعها المرطبات. عندما فتحت "آني" عينيها، كانت الطائرة تطير فوق سلاسل جبال تفصلها أراض وعرة.

أعلن بيع منتجات معفاة من الضرائب في مؤخرة الطائرة. وذهبت السيدات إلى التواليت لإصلاح هندامهن. لقد اقتربن من نهاية الرحلة.

من جديد يجب إطفاء السجائر وربط الأحزمة. هبطت الطائرة دون أدنى

اهتزاز وأعلنت المضيفة: "لقد هبطنا مطار "المكسيك" درجة الحرارة بالخارج ٢٢ درجة والساعة الخامسة والربع بعد الظهر بالتوقيت المحلي. برجاء عدم مغادرة المقاعد قبل التوقف التام للطائرة وشكرا".

عند النزول من الطائرة ركب الركاب الأوتوبيس الصغير الذي قادهم إلى مبنى المطار. حيث تمت مراجعة جوازات السفر، والجمرك. ووجدت "آني" نفسها في الصالة الفسيحة. كانت تعرف أن أحدا سياتي لياخذها، لكنها كانت تجهل شخصيته.

أعلنت الميكروفونات- بدون توقف- الإعلانات بكل اللغات عبر المطار. فجاة أعلن صوت نسائي باللغة الفرنسية.

"الآنسة "آني روبير" ينتظرها أمام الباب السيد "جونديكاس" نرجوها التوجه إلى هناك دون تاخير".

كان السيد "جونديكاس" رجلا مكسيكيا، قصيرا يرتدي ملابس سائق. كان يتحدث فرنسية ركيكة، قال:

- لقد كلفني السيد "مونسو" بإحضارك من المطار وقيادتك إلى الفندق. السيد "مونسو" ليس موجودا اليوم، سيعود متاخرا وسيقابل الآنسة "روبير" غدا في الساعة العاشرة.

بسرعة التقط السائق حقائب "آني" وأجلسها في السيارة "الكرايزلر"، التي بدا فخره بها.

كان يقود بسرعة دون أن يتوقف عن الحديث. كان يلتفت دون توقف نحو الفتاة التي جلست في المقعد الخلفي. كان ممسكا بعجلة القيادة بيده اليسرى ويلوح بذراعه اليمنى لتتوافق حركاته مع حديثه. عدة مرات حاولت "آني" أن تجذب انتباهه إلى خطورة القيادة دون النظر أمامه.

أصيبت الفتاة بالذعر، فالسيارات تسير في كل اتجاه دون الاهتمام بقواعد المرور في كل لحظة. رأت "آني" موجة من السيارات تسير في فوضى في اتجاههما. وفي كل مرة كانت تشعر بأن ساعتها الأخيرة قد حانت.

وسط هذه الفوضى يسير المشاة في حشد متعدد الألوان، وكل ذلك وسط الأصوات العالية والشمس المشرقة. استمر السائق في الحديث.

أخيرا وصلا سالمين إلى فندق "ماريا إيزابيل شيراتون" وسبب ذلك

ارتياحا كبيرا لـ"آني".

في استقبال الفندق كانوا على علم بقدومها. انتظرت لحظات. سيقودها أحد العمال إلى الغرفة ويهتم بحقائبها.

جلست "آني" في أحد المقاعد. هل بدأت تشعر باحتياجها إلى النوم؟ أم هو تأثير الارتفاع؟ أم هو المشوار الطويل والشمس والألوان والصخب كل هذا الاغتراب؟ شعرت بإحساس غريب كأنها بداية الشمل.

بتلقائية نظرت الفتاة حولها. دخل رجل بهو الفندق الفسيح، كان يمشي بخطى واسعة ويتجه نحو الاستقبال. كان يرتدي قميصا ذا مربعات زرقاء وسوداء، وبنطلون بيج. لا يمكن التحقق من ملامحه، ولكن جسده الطويل ومنكبيه العريضين يلفتان الانتباه. لم تتعرف عليه "آني" إلا عندما توقف أمامها. بدت عليها الدهشة. قال:

– إيه نعم، أنا "فرانسوا مونسو". لقد غيرت برنامج عملي اليوم، ألغيت المواعيد وعدت مبكرا عما كان منتظرا. كيف أنت؟ هل قمت برحلة سعيدة؟

أجابت:

– لقد كانت رحلتي طيبة جدا.

بدا "فرانسوا مونسو" ودودا جدا. قال:

– تبدين في حالة رائعة. لقد اهتموا بك، أعتقد ذلك؟

ذهب إلى الاستقبال حيث قال بضع كلمات ثم عاد إلى "آني" سألها:

– هل تريدين العشاء معي هذا المساء بشكل بسيط جدا في مطعم صغير، إذا كان يروق لك تناول الطبق الوطني. وهو طبق اللحم بالفلفل يدعى "شيلي"، والشيلي فلفل صغير يحرق الزور فتضطرين على الفور لتناول الشراب الوطني وهو التاكيلا. هذا ما لم تكوني متعبة وتفضلي الذهاب للنوم.

فجأة شعرت "آني" بأنها قد استعادت كل نشاطها. أجابت:

– لكني لست متعبة على الإطلاق، وساكون سعيدة جدا أن أتناول معك العشاء هذا المساء، وأن اكتشف المطبخ المكسيكي. لا شيء في العالم يجعلني أرغب في الذهاب إلى النوم الآن.

الفصل التاسع

لقد مضى خمسة عشر يوما على وصول "آني" إلى "المكسيك". كانت الأيام الأولى صعبة، لقد عانت عدم الارتياح الذي يصيب أي سائح. في مثل هذا الارتفاع، الهواء يفتقر إلى الاكسجين مما يؤدي إلى توازن مختلف في كرات الدم، كانت فترة تأقلمها مميزة باضطرابات مختلفة يطلق عليها المكسيكيون بسخرية "لاتوريستا".

لكن انتصر شباب وقوة الفتاة على هذه الصعوبات وهي تشعر الآن بأنها على ما يرام.

كان الفندق على مستوى عال من الرفاهية في أجمل شوارع مدينة "مكسيكو" وهو شارع "بازيو دي لا ريفورما" الذي يمتد خمسة عشر كيلو مترا في قلب المدينة. خمسة عشر كيلو مترا من الخضرة والأشجار والورد.

لم تكن هناك حدود للجودة ووفرة الخدمات التي تقدم للزبائن في الفندق. كل شيء موجود به: الضروري والإضافي.

يقدم القسم التجاري الملحق بالفندق مجموعة من المنتجات عالية الجودة كما يوجد مصفف الشعر يعمل في أي وقت من النهار أو المساء. يقدم المطعم كل الأطباق المكسيكية والأمريكية والأوربية، والمقهى يقدم الوجبات السريعة، وفي البدروم يوجد ملهى ليلي به فرقتان موسيقيتان. ويوجد حمام سباحة في الحديقة، كما يوجد أيضا "ساونا" دون إغفال قاعات المؤتمرات لعشاق المؤتمرات في البلاد المشمسة.

شغل "فرانسوا مونسو" جناحا يتكون من صالون وحجرة وحمام. كانت الحجرات المكيفة والمنعزلة عن الضوضاء فسيحة، أثاثها فاخر على الطراز الإسباني.

على الرغم من حرمانه من مساعدة السيد "دوفان" فقد تمكن الكاتب من جمع كمية كبيرة من الملاحظات التي أتاحت له التقدم في كتابه الجديد. يجب الآن تنقيح ما توصل إليه والعمل على توثيقه كل يوم.

كل يوم بعد الظهر كان "فرانسوا مونسو" يعمل مع "آني" في الصالون.

www.elromancia.com

وكانت الفتاة تحب ساعات العمل هذه وهي بمفردها مع الكاتب. دون أن يتخلى عن تحفظه فقد كان سلوكه أقل جمودا من سلوكه في "باريس". كان يعرف الوقت الذي يكون فيه ودودا.

كثيرا عندما كانت تكتب، كانت "آني" تشعر بأنه يراقبها. لكن عندما تتقابل نظراتهما فلا تجد هذا الوجه الجامد في ذلك الوقت. كانا يعملان بعد الإفطار مباشرة. نحو الساعة الخامسة نظر "فرانسوا مونسو" إلى ساعته. قال وهو يزيح الأوراق:

– لقد عملنا بالقدر الكافي اليوم. مازال لدي بعض الخطابات الخاصة التي يجب أن أكتبها، لكني أعطيك راحة. استمتعي بهذه الأمسية. ولكن لا تنسي أن علينا الذهاب غدا في الصباح الباكر إلى "كورناڤاكا" أمامنا طريق طويل ولا أريد أن نتأخر.

انسحبت "آني"، وكان الوقت مازال مبكرا. ماذا تستطيع أن تفعل؟ شعرت برغبة في الذهاب إلى حمام السباحة لتسبح وتأخذ حمام شمس. ستذهب لتأخذ أغراضها وتتوجه إلى هناك. قادها مصعد سريع وهادئ إلى غرفتها.

على الرغم من أنها أقل فخامة من الجناح الذي يشغله الكاتب فقد كانت حجرتها تروق لها كثيرا. بها سرير كبير بأعمدة تعلوه قضبان تنسدل منها ستائر بيضاء مجتمعة ومربوطة في كل زاوية من زواياه. هذا السرير الرومانسي يذكرها بـ"سكارليت" كما هو موصوف في رواية (في مهب الريح). في المساء قبل أن تنام كانت تتخيل أنها هي أيضا بطلة تنتظرها مغامرات كثيرة.

مثل كل الحجرات كانت حجرتها تتمتع باللوكس والراحة اللتين يقدمهما فندق خمسة نجوم لزبائنه المعتادين استخدام أفضل وسائل الراحة والرفاهية. لا شيء ينقصها، كان بها لوحة عليها عدد من الأزرار تتحكم في إضاءة المصابيح وحرارة التكييف والشبابيك والستائر والتليفزيون والراديو.

كان كل هذا مصدرا لسعادة "آني" فقد كانت تلعب كطفل وهي تضغط على الأزرار واحدا تلو الآخر.

لم يختلف الحمام في رفاهيته عن الباقي. البلاط من الرخام والبانيو يلمع وكل شيء يلمع بفعل الزجاج والأنوار. كل يوم يتم تغيير الفوط الكثيفة الناعمة.

بدلت "آني" ملابسها ولبست مايوها، ووضعت عليه بشكيرا يمتص الماء ولبست في قدميها صندلا من الكاوتشوك وخرجت من حجرتها.

أنزلها المصعد إلى الدور الأرضي.

كان حمام السباحة في إحدى حدائق الفندق وسط خضرة كثيفة وزهور يانعة. كما وضعت بعض الصخور بطريقة فنية هنا وهناك لتضفي شكلا طبيعيا على المكان.

كان هناك الكثيرون يلتفون حول حمام السباحة. زبائن الفندق ينقسمون إلى سائحين أمريكيين يعشقون الأجواء الغريبة والسفر. الكثيرون منهم يلجأون إلى الملابس المبالغ في غرابتها، ويعتقدون أنه لا غنى عنها ليجاروا أجواء البلد.

كانت "آني" تلبس مايوها أسود قطعة واحدة فتحته واسعة يوافق خطوط جسدها الطويل النحيف. لونه الداكن تناقض مع الألوان الفاقعة التي ارتدتها الأمريكيات.

كان الماء عذبا وحرارة الجو مثالية. فكرت "آني": "إن نهاية شهر آذار (مارس) هي الوقت المناسب لزيارة "المكسيك". سبحت سعيدة بحركاتها المتناغمة. على الرغم من ذلك اصطدمت عدة مرات بشاب أمريكي يسبح في كل الاتجاهات. في النهاية شعرت بالضيق واضطرت للتوقف عند حافة حمام السباحة.

وفي حركات الكرول كان الشاب إلى جوارها. لقد سبق أن شاهدته "آني". إنه أمريكي ينزل بالفندق: شاب جميل، واثق جدا بنفسه دائما في صحبة فتيات رائعات الجمال يتنزهن في سيارته الكاديلاك، إنه صورة البليبي بوي المدلل، والده غير مبال وكثير الإنفاق.

ابتسم إلى "آني" ابتسامة ساحرة، وفي لهجة نصف إنجليزية ونصف فرنسية حاول أن يكلمها. كان قريبا جدا منها، وفي أثناء حديثه معها وضع يده على كتفها. تخلصت "آني" منه وخرجت من حمام السباحة

دون أن تجيبه.

ذهبت لتجلس بعيدا لتكتسب اللون البرنزي. شعرت على بشرتها الرطبة بحرارة الشمس وتمددت على كرسي هزاز لتنعم بهذه اللحظة.

لم تدم سكينتها طويلا. اقترب الامريكي منها وقال:

– مرحبا يا عزيزتي.

نهضت "آني" وجمعت أغراضها وابتعدت دون أن تنظر إلى الشاب الأمريكي.

دارت حول مجموعة من النباتات وتوقفت فجأة. كان "فرانسوا مونسو" متمددا على مقعد طويل ينظر إليها وهي قادمة ويدخن سيجاره. قال:

– ربما تكونين مخطئة لأنك تركت هذا الشاب بهذه الطريقة الجافة. إنه ليس أي شخص، إنه وريث واحد من أكبر المساهمين في "تكساكو" شركة بترول كبيرة في "تكساس".

دهشت "آني". منذ متى و"فرانسوا مونسو" هنا؟ لابد أنه رأى المشهد كاملا.

استطرد:

– بالإضافة إلى أن ذلك يتطلب التفكير، فإن هذا الأمريكي يتمتع بذوق رفيع، وهذا يعرف من مستوى جمال اللاتي يوقع بهن. وكذلك بجمال المجوهرات التي يرتدينها. هذا الشاب يعرف كيف... يعيش، لابد أن تتعرفي إليه.

نفث "فرانسوا مونسو" دخان السيجار واستطرد:

– تعرفين أنك أنت أيضا جميلة جدا؛ لهذا لاحظك وحاول التعرف إليك.

شعرت "آني" فجاة بالخجل لأنها تقف أمام "فرانسوا مونسو" في المايوه. شعرت كأنها عارية تماما. فوضعت البشكير.

يبدو أن الكاتب لم يلاحظها. استطرد:

– لا تتظاهري بالسذاجة، سيعود الأمريكي. يبدو أن مقاومتك قد أثارته. أراهن على أنه سيدعوك لتناول العشاء هذا المساء وعند عودتك إلى غرفتك ستجدين سلة من الورد. يبدو أن النبات الحسنة هي التي تحركه.

أجابت "آني":

– لا تهمني نياته ولا تهمني هداياه. يبدو أن هذا الأمريكي يجهل أن المرأة ليست بالضرورة تسلية، وأن الجمال ليس بالضرورة سلعة للبيع. لا يمكن شراء كل شيء في الحياة! ولا يمكن شرائي لا بالمجوهرات ولا بالورد.

تكلمت بانفعال ولمعت عيناها كما ارتعشت بسبب إحساسها بالإهانة. ولم تعرف ما الذي يثيرها أكثر، سلوك الأمريكي تجاهها أم النبرة الساخرة للكاتب.

ولكن "فرانسوا مونسو" كف عن السخرية.

نظر إلى "آني" كأنه يراها لأول مرة. شعرت كان نظراته تخترقها حتى الأعماق. نظر إليها كأنه يحاول عبثا اكتشاف شيء غامض لا يعرفه.

بدت "آني" دهشة من نظرته.

جاء الأمريكي ووقف أمام الفتاة. متجاهلة وجوده تماما مرت أمامه وأسرعت في اتجاه الفندق.

حتى لا تتاخر، استيقظت "آني" مبكرا جدا في هذا الصباح، على الرغم من أنها لم تنم جيدا. لقد عانت الأرق، ربما بسبب الموقف الذي حدث عند حمام السباحة. كانت ترتدي جيبا باللون الأصفر وقميصا من القطن.

في الساعة المحددة سلك الكاتب و"آني" طريق كورنافاكا. التزم "فرانسوا مونسو" بالحذر فاستأجر سيارة وقادها بنفسه. فضل الاستغناء عن مواهب السيد "جونديكاس".

سلكت السيارة شارع "بازيو دي لا ريفورما" الطويل. أشار "فرانسوا مونسو" للفتاة إلى مبان عالية... أبراج حقيقية من الزجاج والألمنيوم وسط الخضرة.

سألها:

– هل ترين هذه المباني؟ عندما جئت إلى "المكسيك" منذ ثلاث سنوات لم تكن موجودة. إن المدينة تنمو بسرعة مذهلة، والأكثر غرابة أنها مبنية على مكان بحيرة قديمة اضطروا إلى صب أطنان من الأسمنت لمنع قصر الفنون الجميلة من الغوص تحت الأرض. ولبناء هذه المباني الشاهقة استخدموا الخرسانة. إنه عمل مميز حقا. لكن هل بدأت في التعرف على

شارع "بازيو دي لا ريفورما"؟

قالت "آني":

– لقد تنزهت به.

– إنه يعجبك... أليس كذلك؟

– كثيرا.

– كل الحياة والروعة الموجودة في "المكسيك" تتدفق في هذا الركن الفريد من العالم. في الأصل كان يسمى طريق نزهة الإمبراطور لان "ماكسيمليان" هو الذي أنشاه ليربط المدينة بمقر إقامته. يقال إنه استوحاه من الشانزليزيه. سنمر قريبا جدا من قصره. وهو يتحدث ثبتت عينا "فرانسوا مونسو" عليها. تأملت "آني" هذا البروفيل الجميل ويديه الرقيقتين العصبيتين الموضوعتين على عجلة القيادة. كان يقود بثقة عالية.

سألت الفتاة:

– هل نحن بعيدان عن "كورناڤاكا"؟

– ليس بعيدا جدا، ثمانون كيلو مترا تقريبا، لكني أجهل ماذا سيكون حال الطريق ولا حركة المرور.

أضاف:

– لدينا يوم مشحون، لهذا السبب جعلتك تستيقظين من الفجر، لكني أعتقد أن الرحلة تستحق هذه المشقة. مرورا بمنطقة "پولينكو" مرا عبر غابة "شاپولتبك" حيث أشجار الصنوبر والأويكاليپتوس. انبعثت منها عطورها بعد ندى الفجر وسقوط شمس النهار عليها.

تمنت "آني" أن تتوقف لتتنزه في هذه الغابة العطرة، ولكن يبدو أن "فرانسوا مونسو" لم يفكر في ذلك. قال:

– سيكون من الأفضل قضاء اليوم في "كورناڤاكا"؛ الارتفاع هناك أقل بكثير من مدينة "ماكسيكو". إنه مكان يتناقض مع "ماكسيكو" والارتفاع هناك منخفض. هل تعرفين من أين جاء اسم "كورناڤاكا"؟

أجابت "آني":

– إني أعرف بالضبط ثلاث كلمات بالإسبانية، لكني أعتقد أن معناها "قرن البقرة"؟

ابتسم "فرانسوا مونسو":

– تماما. في الواقع لقد تغير الاسم. في الأصل كان في هذا المكان مدينة هندية اسمها "كوها واكا" وترجمتها: بالقرب من الجبال المكسوة بالأشجار. إنه اسم أكثر شاعرية.

– يبدو أن المكان رائع...

– يقال ذلك؛ ففي هذا المكان عاش الإمبراطور "ماكسيمليان" وزوجته "شارلوت" ساعات النسيان عندما كان يسمح لهما الموقف السياسي المتوتر بذلك.

صمت الكاتب. فحركة المرور قد أصبحت كثيفة مما استحوذ على كل انتباهه.

لم يكن فقط العبور إلى القرى أكثر سهولة على الرغم من كونها أكثر جمالا. لم تشاهد "آني" قط مثل هذه الفواكه اليانعة الأكثر تنوعا من الموجودة في الأسواق. مبسوطة على حصائر موضوعة على الأرض: برتقال، بطيخ، ليمون، أناناس، جريب فروت، شمام، وكذلك الأڤوكادو والمانجو، والباباي وثمار جوز الهند. لم تصدق الفتاة عينيها.

سألت:

– هل تنمو كل الفواكه في هذا البلد؟

أجاب "فرانسوا مونسو":

– كل الفواكه، بما أن كل أنماط المناخ متوفرة.

في أماكن أخرى عرضت الخضراوات مختلطة. مجموعات من الأطفال داكنو البشرة وبعيون داكنة يجرون بين البضائع ويقلبونها أحيانا ولا أحد ينهرهم. وسط الغبار تهيم الكلاب والدجاج في البحث عن طعام. بعض بائعي الموز منكفئون أمام بضاعتهم وينتظرون في صبر وقناعة.

أخيرا وصلا إلى "كورناڤاكا".

قال "فرانسوا مونسو":

– لقد وصلنا في الموعد. نستطيع أن نذهب إلى حديقة بوردا قبل الغداء. وفي هذا المكان سنجد آثار بطلي كتابي.

فاقت حدائق بوردا كل الوصف. الحديقة على الطراز الإيطالي، بها

نباتات وفيرة وورد متعدد الألوان. طيور الببغاء الملونة تطير بين الأغصان.

ضحكت "آني" من سعادتها.

– كل شيء جميل. كل هذا يبدو غير واقعي.

عزز "فرانسوا مونسو" كلامها:

– هذا رائع، لقد أخبروني بهذا الجمال، لكن الشهرة تعد أقل كثيرا من الحقيقة.

ابتسم وبدا معتدل المزاج.

– هيا لنرى الماء.

أمسك بذراع "آني" ليقودها. كانت بركة الماء في وسط الحديقة.

– هنا كانت الإمبراطورة تتنزه في صحبة وصيفات الشرف، بينما تعزف فرقة موسيقية خلف الأشجار. وفي هذه الأثناء كان الإمبراطور يجمع الأعشاب لينسى مشاكل الحكم.

تخيلت "آني" الوصيفات وهن ضاحكات يرتدين الفساتين الواسعة ذات الألوان الفاتحة فيشبهن الورد، وبركين القوارب على صفحة الماء تهدهدهن الموسيقى.

همست:

– لابد أن الإمبراطورة كانت تشعر بالسعادة في هذا المكان. نعم، لقد كان الحب يمدها هي والإمبراطور بقدرة مدهشة على نسيان كل المشكلات.

كانت نبرته حزينة. نظرت إليه دهشة لتغير تعبير وجهه.

قال الكاتب:

– لقد انتهى كل ذلك بصورة مأساوية. أطلق الثوار النار على "ماكسيمليان" وفقدت "شارلوت" المسكينة عقلها.

سارا بضع خطوات في صمت. بدا لـ"آني" أن سحر الحديقة قد تلاشى.

نظر "فرانسوا مونسو" إلى ساعته. قال:

– لدي موعد مع المسؤول عن حدائق بوردا. تعالي معي، سيمدنا بالتأكيد بمعلومات ذات فائدة كبيرة.

كان المسؤول عن الحديقة رجلا عجوزا، استقبلهما في مكتبه كان

يتحدث فرنسية طلقة. شرح أن كلمة "بوردا" تحريف لكلمة "لابورد": اسم ثري فرنسي بنى لنفسه مسكنا رائعا تحيطه الأشجار في القرن الثامن عشر. اختفى المسكن وبقيت الحدائق.

تحدث الرجل عن الماضي التاريخي للمدينة والإقليم. سمعت "آني" بدون تركيز. من المكان الذي تجلس فيه استطاعت أن تراقب "فرانسوا مونسو" مازال على وجهه علامات الحزن التي ارتسمت عليه عندما ذكر الحب.

من الواضح أنه قد أثر بطريقة إيجابية في المسؤول عن الحدائق إذ يتحدث معه بكثير من التقدير. على الرغم من تواضع وبساطة "فرانسوا مونسو" إلا أن حركاته وطريقة حديثه كان بها شيء يميزه عن باقي الرجال.

قالت "آني" لنفسها: "إنه يتمتع بشخصية غير تقليدية. هذا يمكن ملاحظته من أول وهلة، وينبعث منه جاذبية لا يستطيع أحد أن يتجاهلها".

تناولا الغداء متأخرا جدا تبعا لتقاليد البلد. في القائمة كان هناك "تارتيلاس" فطيرة من دقيق الذرة محشوة باللحم، الفاصوليا والخضراوات. هذه الوجبات التي بها الكثير من البهارات تسببت في ظمئهما- بما أنه كان هناك خطورة من شرب الماء بسبب الأميبا؛ لذلك شربا التاكيلا.

عندما خرجا من المطعم زارا المدينة. شاهدا قصر "كورتيس" والكاتدرائية التي أنشأها الفرانسسكان، وكنيسة "جواد الوب" ثم طافا بالمدينة القديمة. وكان السير متعبا على الطريق غير الممهد. كان "فرانسوا مونسو" دائما على استعداد لمساعدة "آني" إما ممسكا بذراعها وإما ممسكا بيدها.

توقفا ليتأملا المنازل المطلية بألوان فاتحة وتزينها الشرفات الحديدية وتتدلى منها النباتات المزهرة. شرح "فرانسوا" لـ"آني" بعض التفاصيل المعمارية.

أحيانا كانا يختلسان النظر إلى داخل المنازل لمشاهدة صحونها التي تتوسطها النافورات والورد.

تمنت "آني" أن تستمر هذه النزهة إلى ما لا نهاية. كانت تعيش حالة من

النشوة لم تشعر بها من قبل. لم تكن السماء بهذه الزرقة قط ولا الورد بهذه الألوان الجميلة.

رددت في نفسها: "لابد أن هذا من أثر التاكيلا".

قال "فرانسوا مونسو":

– لقد حان الوقت للتفكير في العودة.

قالت "آني":

– حقا!

ابتسم أمام رد فعل الفتاة.

– نعم، لكن ربما تجدين المواساة في أننا سنذهب إلى "سيبوا انكنتادا".

– ماذا يعني ذلك؟

– هذا يعني الغابة المسحورة.

المنظر يستحق هذا الاسم. طوق من الجبال يحيط المدينة، وقمم هذه الجبال مغطاة بالثلج، وسفوحها مغطاة بأشجار الصنوبر.

نزل "فرانسوا مونسو" و"آني" من السيارة وسارا بضع خطوات تحت الأشجار.

طارت بعض الفراشات ذات الأجنحة المزرقشة، وأسراب عصافير من كل الألوان غير معروفة في أوربا تغرد في سعادة. في هذا الديكور لم تكن "آني" لتشعر بالدهشة إذ ظهرت جنيات بأجنحة صغيرة تحوم حولها. همست:

– كم هذا جميل.

كانت تحدث نفسها بهذه الكلمات بتأثر شديد حتى التفت إليها "فرانسوا". كان سيقول شيئا، ولكنه تراجع واحتفظ بصمته.

يبدو أن الليل سيحل بسرعة. أظلمت السماء فجأة. وسمعا هديرا شديدا. تكرر نفس الصوت وأصبح أكثر قربا. صمتت العصافير.

أنصت "فرانسوا":

– يبدو أنها عاصفة. أفضل ألا تفاجئنا في الجبال. يجب أن نعود بسرعة.

عادا إلى السيارة. في اللحظة التي وصلا فيها إلى السيارة، فزعا عندما سمعا صوتا جافا وحادا. بدأت القطرات الأولى للمطر في السقوط.

الفصل العاشر

هطل المطر بكمية كبيرة. وخلال لحظات كان المكان مغطى تماما بالماء. لم تكن لمساحات الزجاج أي فائدة. كانت الأمطار غزيرة جدا حتى إنها شكلت ستارا لا يكشف ما خلفه.

حاول "فرانسوا" إدارة السيارة لكنه تراجع بسرعة. قال:

– لا فائدة. سيصل الماء إلى المحرك ولن نستطيع الرؤية على بعد متر واحد.

التفت نحو "آني":

– لا تخافي. الأفضل أن ننتظر حتى تمر العاصفة.

– لست خائفة.

– حسنا، أنت فتاة شجاعة. لن تستمر العاصفة طويلا، هذا ليس موسم الأمطار.

بقيا جالسين في السيارة. ولكن لم تلح لهما نهاية العاصفة التي يرتقبانها.

والتي بدت لهما عاصفة عادية وضح أنها عاصفة شديدة جدا بطريقة نادرة.

بدأت "آني" تشعر بعدم الارتياح، وبسبب الأمطار كانا قد أغلقا كل النوافذ فنفد الهواء وبدأت الحرارة ترتفع داخل السيارة.

مضت ربع الساعة وهما ينتظران.

سمعا صرير الرياح وصوت الرعد يدوي منذرا بقدوم الصاعقة على الغابة.

فكر "فرانسوا" في قلق. قال:

– ليس من الحكمة البقاء هنا. الطريق الذي نحن فيه منخفض. يجب أن نلوذ بمكان مغطى. عند مرورنا لاحظت كهفا هناك على يسارنا.

– هل رأيته؟

– نعم، أعلى مجرى السهل.

– تماما. ستسبقينني. ستعبرين مجرى السيل، لابد أنه قد امتلأ ببعض

الماء، وستبتل قدماك بالتأكيد. ستنتظرينني على الطرف الآخر. أما أنا فسآخذ الحقيبة التي بها أوراقي وسألحق بك.

– اتفقنا.

فتحت "آني" الباب وخرجت من السيارة. يقودها ضوء مصباح السيارة، تتوجه متعثرة نحو اليسار، كانت قوة الرياح عنيفة حتى ترنحت الفتاة. دخلت في النطاق المظلم. كان الظلام حالكا. لا يضيئه سوى البرق الذي يظهر في السماء من آن لآخر.

رأت بصعوبة مكان مجرى السيل، تشابكت بعض الشجيرات على حافته، تعلقت بها "آني" بيد واحدة وشرعت تنزل.

تعلقت بالنباتات محاولة أن تثبت قدميها في حرص قبل أن تضعهما على الصخور. كانت الأمطار تهطل عليها بغزارة أفقدتها تنفسها.

فجأة في اللحظة التي حاولت أن تمسك فيها بفرع شجرة- لمسته بأطراف أصابعها- فقدت "آني" سيطرتها، وانهارت الصخور التي تضع عليها قدميها فزلت وسقطت يبتلعها المنحدر.

أصبحت في قلب الماء، ومجرى السيل الذي كان جافا منذ قليل تحول إلى فيضان بسبب الأمطار الغزيرة.

شعرت بأنها تغرق في الماء فحاولت "آني" أن تنهض، لكن كان التيار شديدا جدا فلم تستطع، وفي كل مرة تحاول النهوض تشعر كأن أحدا يمسك بكعبيها بقوة لا تحتمل، ويهزها فيجعلها تفقد توازنها.

كان من المستحيل أن تسبح وسط هذه الصخور. إنها بمفردها وسط ثورة الطبيعة. تلك الطبيعة التي أسرتها بجمالها منذ قليل، قد تحولت إلى قوة غريبة وقاسية.

دوى صوت الرعد بشدة. اختنقت "آني". كانت مياه الفيضان تدور حولها وتقذف بها على الصخور.

فكرت: "سأموت. لماذا أنا بمفردي؟ أين "فرانسوا مونسو"؟". في قوتها الأخيرة وبكل ما تبقى لها من صوت صرخت.

– النجدة! "فرانسوا" أين أنت؟

لم يجبها سوى الرياح التي استمرت في الصرير.

كانت "آني" مدركة أن صوتها لن يصل بسبب صخب العاصفة التي تهدد في كل لحظة بتحطيمها كالقشة.

وعلى الرغم من ذلك استمرت في النداء في يأس.

– "فرانسوا"! النجدة!

شعرت "آني" بأن انتظارها قد دام دهرا، وأخيرا سمعت صوتا:

– "آني"، أين أنت.

صاحت:

– أنا هنا في مجرى السيل. تعال بسرعة.

– تماسكي، إني قادم.

كانت يداها متشبثتين بصخرة بكل قوتها حتى لا يجرفها التيار.

– أخيرا وجدتك، لا تخافي، إني هنا.

أمسكت بالفتاة ذراعان قويتان، بدون هذه المساعدة لم تكن قط لتقوم. كانت ساقاها واهنتين.

تأوهت:

– لا أستطيع أن أسير.

قال "فرانسوا مونسو":

– تعلقي بي.

عقدت "آني" يديها حول رقبته. شعرت به ينتزعها من قلب ماء الفيضان. سار بطول الشاطئ عدة أمتار يتقدم في حرص شديد في ظلام شبه كامل ثم توقف.

أدركت "آني" أنه سيحاول عبور مجرى الماء. سمعت صوت الماء يرتطم بالصخور. تيبست وتملكها الخوف من جديد.

– لا، لا...

قال "فرانسوا مونسو":

– ابقي هادئة، يوجد في هذا المكان معبر وسنعبر بدون صعوبة. ثقي بي.

شعرت "آني" بالثقة. وبدون أن تشعر استسلمت للقوة المنبعثة من الرجل الذي يحملها بين ذراعيه.

لم تنبس بكلمة خلال عبورها. لقد بذل "فرانسوا" كل طاقته حتى لا يفقد توازنه على الرغم من حمله. لقد بذل جهدا كبيرا جعله يلهث.

قالت "آني":

– سأحاول أن أمشي.

– هل تشعرين بتحسن؟

– نعم، إني أفضل من ذي قبل.

أنزل "فرانسوا" الفتاة على الأرض. وسندها، ذلك لأنها على الرغم من شجاعتها فهي تقف بصعوبة. تسلقا المنحدر في بطء.

قال "فرانسوا":

– لابد أن هناك كهفا من الممكن أن نحتمي به. ابقي هنا سأذهب لأرى.

قالت "آني":

– لا، لا تتركني وحدي.

– تعالي معي.

سارا بعض الوقت. تحسس "فرانسوا" الصخور لعله يجد فتحة. فجأة قال:

– هنا، إني متأكد أن هناك كهفا. سأحاول أن أدخله إذا أضاءت ولاعتي فسأرى ما بالداخل.

انزلق في الفتحة. ونجح في إشعال ولاعته، وتفقد المكان. خرج على الفور. قال:

– هذا الذي نحتاجه على الأقل سنكون هنا في مأمن من الماء.

ساعد الفتاة على الدخول. كانا في تجويف طبيعي عميق بقدر كاف في قلب الصخور.

لقد فقدت "آني" كل قوتها، ولم تعد تحتمل. جلست على الأرض وأسندت ظهرها إلى الحائط.

سألها "فرانسوا":

– كيف تشعرين؟

أجابت:

– بخير.

وعلى الرغم من ذلك فقد كان خوفها شديدا. وهي تقول تلك الكلمات البسيطة شعرت بالدموع تنزل من عينيها، وبدأت تسيل بالفعل على خديها. حاولت أن تتماسك وهي تشعر بالخجل من نفسها لأن تبكي بعد أن زال الخطر، ولكن خانتها أعصابها وبدلا من أن تتوقف استرسلت في النحيب.

فكرت: "إني مثيرة للضحك. كيف أبدو الآن؟ ماذا سيظن بي "فرانسوا مونسو" وهو يراني أبكي بهذه الطريقة"، ولكن كانت "آني" غير قادرة على التوقف. دون أن ينطق بكلمة، تركها تبكي كما تشاء. كانت الفتاة خافضة رأسها. ربت شعرها في حنان.

قال:

– هيا، لقد انتهى الأمر الآن. ولا تخجلي لأنك بكيت. لقد كنت شجاعة جدا. لقد أخطأت. ما كان عليّ أن أتركك بمفردك، إني ألوم نفسي بشدة على ذلك.

– لماذا لم أستطع العبور؟

– لقد أخطأت الطريق، لقد ذهبت إلى أقصى اليسار بفعل الظلام حيث يتسع مجرى السيل ويصبح أكثر عمقا.

أبقى يده على رأس الفتاة.

– عندما تحققت أنك سلكت الطريق الخطأ وأنك ضللت تملكني الفزع. بحثت عنك وناديتك.

سألته "آني":

– وحقيبتك؟ وكل أوراقك؟ أين هي؟

– في مكان ما في مجرى السيل. لقد أردت أن أخرجك من حيث كنت، ولأفعل ذلك كان لابد أن أتحرر من أي شيء لأتحرك بحرية.

رفعت "آني" رأسها ونظرت إليه. إنه بمجرد أن عرف أنها تتعرض لخطر لم يتردد في أن يترك أوراقه الغالية التي يحرص عليها كحرصه على عينيه.

همست:

– شكرا! شكرا لك.

تظاهر "فرانسوا" بانه لم يسمع شيئا.

– أنت مبتلة تماما. لن تستطيعي البقاء هكذا. يجب أن تجففي ملابسك. إذا نجحت في أن أجد أوراقا وأخشاب أشجار سأحاول إشعال النار.

بعد البحث جمع بعض الأخشاب. قال:

– والآن ادعي الله أن تشتعل النار.

حاول جاهدا، وفي النهاية ظهرت شعلة صغيرة. وأخذت في النمو ممسكة في الأخشاب التي تحيط بها.

أخيرا نهض "فرانسوا" بعد أن نفخ في النار وهو يشعر بالفخر.

– هل تعرفين أنه وفقا للمقولة الشعبية، أنك إذا أردت أن تشعل نارا يجب أن تكون محبا أو مجنونا أو فيلسوفا؟

ابتسم واستطرد:

– لكن ليس ممنوعا أن تكون الثلاثة معا.

ابتسمت بدورها وقد شعرت بتحسن. قال:

– يجب أن تستفيدي من هذه النار لتجففي ملابسك. إنك لن تبقي طوال الليل في ملابسك المبتلة هكذا.

– لكن... لكني لا أستطيع.

– لماذا؟

– لانه ليس لدي شيء ألبسه ولا أستطيع أن أبقى بدون ملابس.

– ساعيرك قميصي. إنه ليس مبتلا لقد حميته سترتي. ستلبسينه حتى تجف ملابسك.

– لكن هذا لا يكفي.

– سيفي بالغرض! لن تكوني أول امرأة أراها في هذه الملابس كما كانت ملابسك أقل من ذلك بالأمس عندما كنت في حمام السباحة.

تمتمت "آني":

– الأمر مختلف.

توردت "آني" خجلا واستدارت بينما، استطرد:

– اسمعي لا أريد أن يكون هناك سوء فهم بيني وبينك تستطيعين بدون

أدنى خوف أن تخلعي ملابسك المبتلة أمامي. لا تخاطري بشيء. ليس لأني لا أراك جميلة، ولكن لأني أحترمك.

رفعت "آني" رأسها. ودهشت لتعبير عيني "فرانسوا". إن النار تنعكس في مقلتيه وتعكس حنانا كبيرا لم تره من قبل. تبادلا النظر. وكان الوقت قد توقف. شعرت "آني" بقلبها يدق بسرعة.

التفت "فرانسوا مونسو" وقال:

– هيا أسرعي إذا أردت ألا تصابي بالتهاب رئوي سأشعر بالأسف حيال ذلك لأني سأعتبر نفسي المسؤول.

ساد الظلام الكهف شيئا فشيئا وانطفأت النار. لم يبق سوى بعض الجمر الأحمر تحت الرماد.

سمعت "آني" صوت التنفس المنتظم لـ"فرانسوا" المتمدد ليس بعيدا عنها. كانت عيناه مغمضتين. هل ينام؟ لقد اتفق الاثنان على قضاء الليلة في الكهف... بما أنهما لا يستطيعان الرحيل إلا في الصباح.

لم تنم الفتاة. ليس لأنها قلقة على الإطلاق. على العكس كان لديها ثقة عميقة بحديث "فرانسوا مونسو". عندما قال لها إنه يحترمها شعرت بأنها ليست مجرد عبارة أدب أو مجاملة. كان ذلك بمثابة وعد أو اتفاق ضمني. كانت تعرف أنه سيفي بكلمته.

فكرت: "كم يبدو ذلك غريبا. كدت أغرق، هانا أنام على أرض صلبة باردة، أشعر بالجوع والعطش، وليس لدي ما آكل أو أشرب، وعلى الرغم من ذلك أشعر بالسعادة. أريد ألا تنتهي هذه الليلة، وأن نبقى بمفردنا كما نحن منعزلان في قلب الغابة. لا أريد أن يكون هناك عالم بالخارج ليكون عازلا بيني وبين "فرانسوا". هل أحبه؟".

حاولت أن تفهم ما بداخلها. لقد قاومت كثيرا هذا الإحساس الذي ينمو بداخلها. وها هي الأحداث الدرامية تكسر حاجز الوقاية الذي ضربته حول نفسها، وكانت تعتقد أنه حاجز متين.

لقد غرقت في إحساس الانجذاب نحو "فرانسوا"، إحساس أصبح أكثر قوة وأكثر اشتعالا من الذي كانت تشعر به تجاه "آلان".

هل هذا هو الحب الحقيقي؟

وهو؟ ماذا كانت مشاعره؟

إنه منجذب إلى "آني". إنها متأكدة من ذلك. في عدة مرات خلال هذا اليوم، أدركت الفتاة ذلك. النساء يشعرن ويخمن تلك الأشياء. وعندما جاء لنجدتها ناداها بصوت كله خوف عليها وعندما أمسك بها بذراعيه وضمها إلى صدره القوي لم يكن هذا مجرد إملاء الواجب. هناك شيء ما أكثر عمقا وحنانا من إيثار الغير. كانت تحركه رغبة جامحة لانتزاعها من الخطر وإنقاذها.

هدأت العاصفة بالخارج. لم تعد تسمع "آني" صخبها. واستمرت الأمطار في السقوط، ولكنها أقل حدة. وشيئا فشيئا استعادت الطبيعة هدوءها.

ولكن هبت العاصفة في قلب "آني".

الفصل الحادي عشر

عندما خرجا من الكهف في صباح اليوم التالي لم يصدق "فرانسوا" و"آني" عيونهما. لم يكن هناك أي أثر لعاصفة الأمس إلا بعض المياه الموحلة في قاع مجرى السهل. كانت السماء صافية والطيور قد عادت جميعها كأنها معجزة لتغرد وترحب بعودة الجو الجميل. لقد نسيت الطبيعة غضب الأمس.

تبادل "فرانسوا" و"آني" النظر وانفجرا في الضحك. كانت ملابسهما متسخة ومجعدة وشعرهما أشعث. تحت "آني" تجويفا" طبيعيا بين الصخور قد احتفظ ببعض مياه الأمطار. أخذت ملء كفيها من الماء ومسحت وجهها لتزيل آثار الوحل.

ثم سلكت خصلات شعرها بأصابعها، الذي شكل حول وجهها هالة شقراء فبدت فتاة متوحشة رائعة.

لم يرفع "فرانسوا" نظره عنها. قال:

– هانت بمظهر أكثر قبولا. عندما أخرجتك من الفيضان كانت حالتك يرثى لها.

استطرد:

– سنسلك طريق العودة، لكني أشك في أننا نستطيع استخدام السيارة. لابد أنها قد أصابها العطب.

– قبل أن نرحل أود أن أقدم لك عميق عرفاني لكل ما فعلته من أجلي. من كل قلبي أشكرك.

– لست مضطرة لتقديم الشكر. ما فعلته شيء طبيعي.

– بسببي فقدت وثائق مهمة جدا. إني آسفة حقا.

قال في حماس:

– هل من الممكن وضع ولو لثانية واحدة بعض الأوراق– حتى لو كانت مهمة– في كفة وحياتك في كفة أخرى؟

استطرد:

– إذا كان الأمر يتعلق بحياة إنسان صدقيني فإن تصرفي هذا طبيعي

www.elromancia.com

جدا.

تأثرت "آني" بحماس نبرته:

– اسمح لي أن أجدد لك عرفاني على... على كل شيء.

كانت قد اقتربت منه، وقد أشعلت العاطفة خديها، ولمعت عيناها فاصبحت أكثر زرقة.

كان "فرانسوا" قد اقترب منها أيضا ودون أن ينبس بكلمة أحاط الفتاة بذراعيه، وبقيا ثابتين كانهما متسمران. وبرفق قبل وجهها ثم شفتيها. شعرت "آني" باستسلام واستجابت لقبلاته بكل اندفاع لعاطفتها.

وبنفس السرعة ابتعد "فرانسوا" عنها وأزاحها عنه. تراجع بضع خطوات ووضع يده على وجهه.

بقيت "آني" في مكانها فريسة للدهشة وقد شحب وجهها.

ساد الصمت بينهما.

سالت نفسها: "لماذا يتصرف على هذا النحو؟ بعد أن قبلني بكل هذه الحرارة. يدفعني كانه غاضب. كانني أنا من أثرته؟

قال "فرانسوا" دون أن ينظر للفتاة:

– آسف.

قالت:

– ليس هناك شيء أسامحك عليه. كان عليّ أنا أن أكون أقل سذاجة، لكنني بدون شك ساذجة جدا حتى أفهم تلك الحيل حيث تتظاهر بمشاعر لا وجود لها.

– اسمعي.

أوقفها "فرانسوا" بإشارة.

– لا تعتقدي أنني طائش. ولا تشعري بالإهانة لما بدر مني فلم يكن ذلك متوقعا أعترف بذلك. لكني وجدتك جميلة جدا وسط هذه الطبيعة المشرقة! كما أنني سعيد لأننا نجونا بعد هذه المحنة التي عشناها. لقد تملكتني فرحة كبيرة لم أستطع أن أكبحها.

همست "آني":

– وبما أنني هنا فلقد حصلت على بركة هذه الفرحة.

مد "فرانسوا" إليها يده.

– لا تشعري تجاهي بالكراهية، أرجوك على الرغم من اعترافي بحقك في أن تغضبي.

كان يتكلم بصوت طبيعي. أو أنه أراد ذلك ولكنه لم يستطع أن يخفي العاطفة التي يقاومها. بدا وكان هناك حربا دائرة في نفسه.

بقي متأملا طويلا. ابتعدت "آني" في هدوء حتى تتركه بمفرده. أخيرا بدا "فرانسوا" أنه قد استعاد نفسه. لكنه لم ير الفتاة فناداها.

– "آني"!

كانت هذه هي المرة الأولى التي يناديها باسمها الأول وليس بالآنسة "روبير".

صوته القوي ونبرته الدافئة كان لهما انعكاس لطيف وحان. تقدمت الفتاة والأمل يخفق في صدرها. نظر إليها وهي تعود نحوه. مد إليها ذراعيه ولكنه تراجع، وقال في بساطة:

– لنعقد الصلح. أعدك بألا يتكرر هذا الموقف أبدا.

كان محرك السيارة غارقا في الماء. كان لابد أن يصلا إلى أقرب قرية سيرا على الأقدام.

سلك "فرانسوا" و"آني" طريقهما عبر الغابة. سارا طويلا دون أن يتحدثا. كل منهما غارق في أفكاره. كانت الشمس عالية عندما قابلا فلاحا يقود عربة.

دهش الرجل عندما رأى هذين الأوربيين يسيران على أقدامهما في هذا الطريق، ولكن كان الشرح الذي قدمه له "فرانسوا" بالإسبانية كافيا. وفي ود دعاهما للركوب معه.

وصلوا إلى القرية وأصبح "فرانسوا" و"آني" على الفور بؤرة الاهتمام العام. جاء الأطفال يدورون حولهما ويتفحصونهما في فضول والنساء اللاتي يثرثرن حول التافورات تركن أعمالهن وأتين لرؤية الأجنبيين.

قال الفلاح بضع كلمات. أجاب "فرانسوا" موافقا بحركة من رأسه. أمسك بذراع "آني" وتبع الاثنان الرجل.

قال "فرانسوا" مفسرا:

– إنه يدعونا إلى منزله. خسارة أنك لم تفهمي ما قال. إن قوانين الضيافة مقدسة هنا في هذا البلد. عندما يدعوك مكسيكي إلى بيته لا يقول (تفضلوا عندي)، ولكنه يقول (تفضلوا عندكم). لو قال أحد (تفضل إلى منزلي) يعد ذلك أسلوبا فظا. يجب أن يشعر الضيف بأنه على راحته تماما كأنه في بيته.

كان الفلاح يسكن بيتا من طابق واحد يغطيه القرميد. مبنيا مثل كل بيوت القرية من الطوب.

كان لهذا الوصف سحر خاص تأثرت به "آني"، كما بيّن لها "فرانسوا" أن هذا الطوب خليط من التراب والقواقع والقش، والجميع مضغوط في شكل الطوب.

أضاف "فرانسوا":

– هذا ما يطلق عليه في "فرنسا" بالتراب المذكوك.

عندما وصل إلى منزله خلع الرجل غطاءه ذا الرسومات الهندسية المفتوح من وسطه ليسمح للرأس بالمرور.

قالت "آني":

– هذا "بونشو".

ضحك "فرانسوا":

– نحن الفرنسيين نطلق عليه "بونشو"، ولا نعرف لماذا في "المكسيك" يسمونه "ساراب". الفلاحون لا يتخلون عنه أبدا. يعرفون بخبرتهم أنه مهما كانت الحرارة في النهار؛ فإن المساء بارد حتى إنهم قد يفاجأون بأمطار غزيرة. بهذا الغطاء "الساراب" هم في مأمن من تقلبات الجو.

جاءت زوجة الفلاح لتحيي الضيوف. الأطفال الأربعة، ثلاث بنات وولد ينظرون إلى الغرباء في صمت. بعيونهم الداكنة أخذ الجميع مكانا حول الطاولة إلا الزوجة التي بقيت واقفة لتخدمهم.

يبدو من الصعب معرفة سن هذه السيدة. إنها ليست عجوزا لأن لديها أطفالا صغارا. ولكن وجهها الشاحب تخطه التجاعيد العميقة كما تكسوه علامات التعب والاستسلام. رداؤها من قطعتين يلف جسدها النحيل.

سالت "آني":

– ما اسم هذا الرداء؟

أجاب "فرانسوا":

– إنه "ربوزو". وهذا الشال يصلح لكل شيء... لتغطية الرأس عند دخول الكنيسة، لحمل الأطفال حتى تتمكن الأم من العمل بيديها أو لكي تحمي نفسها من تقلبات الطقس.

كما لدى كل المكسيكيين الفقراء فالطعام مختصر تماما. إنهم يأكلون "التورتيلا"، وهي فاصوليا وبطاطس. وكان للضيوف الحق في بعض قطع اللحم. شربوا "بولك" وهو شراب له رغوة وله رائحة ليست جميلة.

ترددت "آني" في أن تتذوقه، ولاحظ "فرانسوا" ذلك فقال:

– ربما لا يكون مستساغا للأوربيين ولكن تستطيعين أن تشربي منه دون خوف. إنه شراب غني جدا بالڤيتامينات. سالت الفتاة:

– مم يصنعونه؟

– إنهم يستخلصونه من نبات (الأجاف). هذه النباتات ذات الأوراق الطويلة الملحمة التي تصلح للزينة. يجمعون اللحاء ويتركونها تجف. هل يعجبك الطعام؟

– كثيرا، لقد كنت جائعة جدا ومستعدة لالتهام أي شيء.

ابتسم "فرانسوا" وهو يراها تعض بأسنانها "التورتيلا". إنها تبدو متأثرة بحادث الأمس الذي لن يكون بعد ذلك سوى ذكرى.

تحدث الأطفال فيما بينهم. الصبي على الرغم من أنه يبدو الأحدث سنا كان يستخدم نبرة آمرة في حديثه مع أخواته الكبار وحتى أمه.

قالت "آني" هذه الملاحظة لـ"فرانسوا".

ابتسم "فرانسوا" في سخرية.

– "المكسيك" ليس بلدا يعطي العنصر النسائي أهمية كبيرة. هنا الذكر يتميز. ليس للنساء الحق سوى في أن يصمتن وأن يطعن.

استطردت "آني":

– بلد ساحر! لكني لا أفهم أسماء الصغيرات. لا أستطيع أن أميزها، يبدو لي كأنها كلها اسم واحد.

– في الحقيقة إنها شبه اسم واحد. ملكة "المكسيك" هي "جوادا لوب" العذراء الهندية التي تحيط بحمايتها الفتيات اللاتي يحملن اسمها. لذلك يطلق عليهن: "جواد لوب"، لوب. لوبينا.

– قد ينشئ ذلك اختلاطا.

كل شيء كان يثير انتباه "آني"، لقد كانت سعيدة بهذه الجولة غير المتوقعة في هذه القرية المتواضعة التي سمحت لها بالاختلاط بضع ساعات بالحياة الحقيقية للسكان. خبرة لا يمكن ان تقدمها لها اي شركة سياحة.

كانت تقدر ان يكون إلى جوارها هذا الرفيق النابه الصبور المتمثل في "فرانسوا مونسو" كان يجيب طواعية عن اسئلتها ويجعلها تكتشف بفضل شرحه كل ما تجهله عن هذا البلد وعاداته. لم يظهر قط ضجرا باسئلتها او تعاليا لانه يعرف أكثر منها.

انتهى الطعام، جلس الأطفال أمام "آني"، وهمسوا وهم ينظرون إلى الفتاة. بعد تردد اقتربت الأكبر سنا وبحركة خرقاء مسحت على شعر "آني" بيدها مرددة كلمات بنبرة بدا فيها الإعجاب.

سألت "آني":

– ماذا تريد؟

أجاب "فرانسوا":

– إنها معجبة بشعرك الأشقر وعينيك الزرقاوين. تقول إنها تحب هي أيضا أن تكون شقراء.

أرادت "آني" أن تقبل الفتاة ولكن جرت الفتاة الخجول لتحتمي بأمها.

بدوره أبدى المكسيكي ملاحظة أضحكت "فرانسوا". مجتازة طلبت "آني" أن يترجم لها ما قاله:

– إنه يرى أنه عندما يكون للمرء بشرة بيضاء مثل بشرتك فهذه خطيئة أن تعرضيها للشمس حتى تسمر.

بدا الإعجاب في نظرة الفلاح للفتاة. أراد "فرانسوا مونسو" أن يعود إلى مدينة "ماكسيكو" باسرع ما يكون وسأل إذا كان يستطيع أن يجد سيارة.

قال الفلاح:

– إن هناك سيارة وسائقا أيضا بالتأكيد لتوصيل السيد والآنسة.

هما بالخروج. قال:

– لحظة.

أجاب "فرانسوا مونسو":

– لحظة.

تابعت "آني" الحديث الذي دار بين المكسيكي و"فرانسوا" ولاحظت ان "فرانسوا" يصر على ألا يتأخر التاكسي حتى لا يضطر للانتظار طويلا.

أخيرا جاء التاكسي بعد انتظار ليس قصيرا. كانت سيارة قديمة ومتهالكة يبدو أنها تعمل بمعجزة.

استأذن "فرانسوا" و"آني" من الفلاح وعائلته ووضع "فرانسوا" عملة ورقية في يد الرجل، ووزع البيزو على الأطفال. في كرامة أراد الرجل أن يعيد العملة الورقية، يبدو أنه يعترض ويقول إن هذا كثير.

في ود أعاد إليه "فرانسوا" النقود، وقال شيئا مشيرا إلى المرأة والأطفال. في هذه المرة استسلم الرجل وقبل المال شاكرا.

انطلق التاكسي في صخب. اجتمع الفلاح وعائلته أمام المنزل يلوحون إلى السيارة المبتعدة.

بقي "فرانسوا" و"آني" صامتين في السيارة. قاومت الفتاة حتى لا تفكر في خيبة أملها في الصباح. نظرت إلى المشهد الماثل أمامها، لون الأرض الفاقع وحقول الذرة وقطعان البقر التي ترعى في الحشائش النادرة. الكنائس التي تظهر فجأة عند منعطفات الطريق. نباتات الصبار في كل مكان، أحيانا عالية جدا تشبه الشمعدان الضخم.

بدأت الحرارة تشتد. شعرت "آني" برغبة في النوم. أصبحت جفونها ثقيلة. أغمضت عينيها.

نامت نوما عميقا كما يفعل الشبان الذين ينامون حيثما يتملكهم النعاس. خدها مستند إلى ذراعها ورأسها منخفض. كان شعرها الأشقر متناثرا وأهدابها السوداء تلقي بظلالها على خدها.

لم يستطع "فرانسوا" أن يرفع عينيه عنها. في هذه اللحظة كانت صورة للشباب المنتصر والجمال.

فكر الكاتب " هناك عدد لا يحصى من الفتيات الجميلات في العالم.

لماذا تمتلك هذه الفتاة شيئا ما أكثر جاذبية من الأخريات؟ لماذا أتأثر عندما أنظر إليها؟ هذه الليلة عندما أخرجتها من الماء على الرغم من شعرها الأشعث ووجهها الشاحب فقد جذبتني أكثر من أي فتاة جميلة قابلتها في صالونات "باريس". أليست مخلوقة رائعة خلقت لفتنة قلوب الرجال؟ هل أنا بهذه الحساسية حتى تحركني هذه الفتاة إلى هذا الحد؟ هل أستطيع أن أعيد كل شيء، أن أحب من جديد أن أجد السعادة في الحب. يا له من حلم! أو يا له من كابوس!.

استعاد بعض الذكريات وأدار رأسه إلى الخارج محاولا أن يهتم بالمشهد الخارجي.

أخرجه عن أحلامه صوت جاد. توقفت السيارة فجأة ثم انتفضت وتقدمت بضع وثبات. ثم سكنت مكانها.

أطلق السائق شتائم وخرج بسرعة. رفع غطاء السيارة ونظر في حيرة.

نزل "فرانسوا" بدوره من السيارة وسأل ماذا يحدث. أراد السائق أن يطمئنه، ولكنه رفض المساعدة التي أراد "فرانسوا" أن يقدمها له.

بعد ربع الساعة حاول إدارة المحرك دون نجاح. رآه "فرانسوا" في قلق يخرج من جيبه سلكا حديديا.

سألت "آني" وقد استيقظت.

– ماذا يحدث؟

– تعطلت السيارة، وأسأل نفسي إذا كنا سننجح في الوصول إلى "ماكسيكو" هذا المساء. إني أشك في ذلك. عاد السائق أمام عجلة القيادة، وأدار المحرك الذي عاد للعمل من جديد! كل شيء على ما يرام وتمكنوا من الرحيل.

غير مصدق صعد "فرانسوا" إلى السيارة وحاول السائق القيادة في حذر شديد. ولدهشة الراكبين نجح السائق وسارت السيارة. لم يصادفهم أي عطل حتى وصلوا إلى "ماكسيكو".

عندما وصل "فرانسوا" و"آني" إلى فندق "ماريا إيزابيل شيراتون" كانا يبدوان في حالة يرثى لها. ملابسهما متسخة ومجعدة، وذقن "فرانسوا" نابت بالشعر. مرا بالردهة تحيطهما نظرات الدهشة وأسرعا نحو المصعد

ليصلا إلى غرفتيهما.

قال "فرانسوا":

– لا أريد إغاظتك، ولكن نبدو كالمتشردين. من الواضح أننا قد أثرنا صدمة نزلاء هذا الفندق الفاخر.

قالت "آني" ضاحكة:

– لقد قرأت ذلك في عيون السيدات الأنيقات اللاتي قابلتهن. أفضل ما نستطيع أن نفعله هو أن نأخذ مظهرا أكثر حضارة في أسرع وقت ممكن.

في لحظة فراقهما أمسك "فرانسوا" بيد "آني". قال:

– أتمنى رغم كل شيء ألا تحتفظي بذكرى سيئة لرحلتنا إلى "جرنافاكا".

لم تجب "آني" على الفور. انتهت بأن قالت:

– لا. إنها لحظات من حياتي لن أندم أبدا على أنني عشتها.

الفصل الثاني عشر

قال "فرانسوا" :

– إن إقامتنا في "المكسيك" شارفت على الانتهاء إني راض جدا.

لقد عوضنا التأخير الذي تسبب فيه مرض "دوفان" ، ولقد قمنا بعمل جيد.

كان الكاتب في صالون جناحه في فندق "ماريا ايزابيل شيراتون" تجلس أمامه "آني" :

– بالمناسبة، لقد حصلت على أخبار جيدة بخصوص السيد "دوفان" . لقد اتصل بي هذا الصباح. إنه لا يزال في "كوكو بوك" حيث برتاح بعد إقامته في المستشفى. لم تسمح له حالته الصحية بالرجوع إلى "فرنسا" ولقد نصحه الأطباء بهذا المكان حيث المناخ المثالي طوال العام. تتارجح درجة الحرارة بين ٢٦ و٣٢ درجة دون أي رطوبة. إنه ربيع دائم.

– هل هي بعيدة؟

– على الإطلاق، إنها على بعد ٧٥ كيلو مترا من "ماكسيكو" لقد وعدت السيد "دوفان" أننا سنزوره، إنه يعيش في مبنى في مزرعة تحول إلى فندق. لقد أصر على أن أزوره.

أخذ سيجارة من علبة سجائر فضية. قال:

– والآن إلى العمل. سنختصر النص وهو موضوع كتابي... لنبدأ بالبطل إمبراطور "المكسيك" "ماكسيمليان دي هابسبورج"

توقف ليشعل سيجارته.

يقال حقا إن عصر "هابسبورج" لم يكن سويا لبلهم الكتّاب والمؤرخين بقصص درامية حزينة وشخصيات خارقة للعادة. يحتار المرء أمام الاختيار منها، كذلك لم يجرؤ أي مؤرخ أو مؤلف أن يؤلف قصصا مشابهة، أو لم يسعفه خياله ليفعل.

سأل "آني" :

– أنت تكتبين، أليس كذلك؟

أجابت الفتاة:

– نعم.

– إذن، لقد ولد هذا الدوق "ماكسيمليان" في البلاط النمساوي في شهر تموز (يوليو) عام ١٨٣٢ . للأسف كان الابن الثاني. كان لوالديه صبي ولد في عام ١٨٣٠، وهو الإمبراطور القادم لـ"النمسا" "فرانسوا جوزيف" .

نظر "فرانسوا" من جديد إلى الفتاة.

– إذا أسرعت فأوقفيني.

استطرد:

– في سن الثامنة عشرة صعد "فرانسوا جوزيف" إلى العرش.

مضت بضع سنوات، وكما يفكر كل ملك في وريث، فكر في الزواج بدأ يرى المرشحات.

شهق "فرانسوا" دخان سيجارته.

– لكن لم يمض شيء كما كان متوقعا. لقد حدث لـ"فرانسوا جوزيف" شيء مدهش وغير معتاد بالنسبة لإمبراطور: لقد تزوج عن حب.

قال هذه الكلمات بنبرة جعلت "آني" ترفع رأسها.

– بين العديد من المرشحات وقع الاختيار على ابنة عمه "هيلين دي باڤيار" ، أميرة ضعيفة الشخصية. لم تعجب الإمبراطور الشاب ولكنه وقع في غرام أختها الصغرى، وهي مراهقة، شعرها منسدل على كتفيها لم تنضج بعد.

نهض الكاتب وسار بطول وعرض الحجرة.

– كان اسم الأخت الصغرى "إليزابيث" وكانوا ينادونها "سيسي" .

دونت "آني" بعناية كل ما يقوله "فرانسوا مونسو" .

– هذا الاختيار لم يعجب والدة "فرانسوا جوزيف" .

توقف "فرانسوا مونسو" .

– لابد أن أخصص فصلا كاملا عن الدوقة "صوفي" ، إنها شخصية مثيرة للفضول. من الممكن رسم صورتين متناقضتين من هذه الشخصية. هذه الدوقة كانت والدة "فرانسوا جوزيف" وكذلك "ماكسيمليان" . في شبابها، وعلى الرغم من زواجها من دوق نمساوي، كانت كاتمة أسراره ومواسية له، وكانت صديقة حانية لزوجها الدوق "رايششتات" . يقال إنه

كان يحب هذه الدوقة الضحوك الحانية بشدة، لكن مع السنين تحولت إلى امرأة جافة متسلطة وأم قاسية.

سألت "آني":

– هل معروفة أسباب هذا التحول؟

– ليس تماما، ربما تأثرت بالمناخ السائد في البلاط النمساوي.

استطرد:

– هبت إذن عاصفة عائلية. "هيلين" كانت تبكي شاعرة بالإهانة. والدوقة "صوفي" تريد معارضة قرار ابنها. كانت ترى "سيسي" صغيرة جدا ومتحررة جدا. هدد "فرانسوا جوزيف" أن يفرض رأيه. في النهاية ترتب كل شيء. وتحولت "سيسي" بزواجها بـ"فرانسوا" من الإمبراطورة "إليزابيث" إلى إمبراطورة "النمسا".

توقف "فرانسوا مونسو".

– في عام ١٨٥٨ ولد أول طفل لهذا الزواج. عرف باسم "رودولف" وأصبح بدوره الأمير الوريث.

كانت "آني" تسمع باهتمام كبير كان هذا التاريخ جديد جدا بالنسبة لها. إن الاهتمام الذي تسمع به سرد "فرنسوا" ليس فقط بدافع من أن ذلك عملها.

استطرد المؤلف:

– هذا الحدث ذو أهمية رئيسية لبطلنا "ماكسيمليان". في الواقع منذ هذه اللحظة لم يعد لديه أي أمل في اعتلاء عرش "النمسا". وما لم يكن يعرفه والذي لم يتوقعه أحد أن "رودولف" لن يعتلي هذا العرش أيضا.

تحدث "فرانسوا مونسو" كأنه يحدث نفسه.

– يوما ما، مثل والده، مثل أي رجل أصبح "رودولف" متيما بإحدى النساء. لكنه لم يستطع الزواج بها. لقد كان متزوجا بالفعل وكان كل شيء يفصلهما. هذه الفتاة الجميلة كانت تدعى "ماري ڤيتسيرا" وانتحرا هما الاثنان في "مايرلنج".

نظر "فرانسوا" لحظات عبر النافذة، الحديقة المزهرة للفندق وقال:

– كان الدوق "ماكسيمليان" قد تزوج هو أيضا زواجا سعيدا. لقد أحب الأميرة "شارلوت" ابنة ملك "بلجيكا" وحفيدة "لويس فيليب"

وتزوجها. لكن لم يكفه ذلك. كان حزينا لكونه مجرد دوق وسط الآخرين.

دق جرس التليفون ورفع "فرانسوا مونسو" السماعة. وأجاب باختصار:

– لا أريد أي اتصالات. لدي الكثير من العمل ولا أريد أن يزعجني أحد.

وضع السماعة. سأل:

– إلى أين وصلنا؟

أشعل سيجارة جديدة. قال:

– آه نعم. عندما أراد إمبراطور "فرنسا" "نابليون الثالث" لأسباب سياسية أن يضع رجلا يدين له بالولاء على عرش "المكسيك" واختار "ماكسيمليان" الشاب. في البداية تردد هذا الأخير في الانطلاق في هذه المغامرة، ولكن كانت زوجته "شارلوت" أكثر طموحا منه. ترك نفسه ليقتنع شريطة أن يدعوه الشعب. أكدوا له أن الشعب يقبله. عندئذ استيقظ بداخله حب السلطة التي عرفت لدى آل "هابسبورج". بقي أصم أمام كل النصائح والتحذيرات وقبل... سيكون إمبراطورا.

أسقط المؤلف رماد السيجارة.

– لقد أصاب الفيلسوف عندما قال: "إن كل مأساة سببها شيء واحد "يستطيع الإنسان أن يعيش في سلام في موطنه".

نظرت إليه "آني" وسألته:

– يعيش في سلام في موطنه! هل تتمنى حقا أن تكون حياتك رتيبة بهذا الشكل؟

قال "فرانسوا":

– أنا؟ أبدا.

قهقه الاثنان.

قال المؤلف: عائدا إلى الموضوع:

– في البداية كان كل شيء على ما يرام. كان "ماكسيمليان" و"شارلوت" شابين حبيبين وطموحين. كانا يعتقدان أنهما قد حققا أملهما. كان لديهما الكثير من الأحلام.

توقف عن السير واستند إلى ظهر المقعد الذي تجلس فيه "آني" واستطرد:

– لم يتحقق الإمبراطور الجديد أن الحاكم الأجنبي الذي يأتي إلى بلد بعد حملة عسكرية ليس لديه فرصة لكي يكسب قلوب أفراد الشعب. وعلى الرغم من ذلك اتخذ "ماكسيمليان" دوره بجدية شديدة. لقد حرص– بصدق– على أن يكون حاكما جيدا على الرغم من سوء تصرفاته.

تحمس "فرانسوا" في سرد موضوعه.

– في البداية نال بعض النجاح بفضل مساندة الحملة الفرنسية التي يقودها الجنرال "بازان"، ولكن تدهورت الأوضاع. أراد "نابليون الثالث" التخلص من "المكسيك". في بداية كانون الثاني (يناير) عام ١٨٦٦ فأخبر "ماكسيمليان" بقراره بسحب الجيش الفرنسي. وكانت هذه بداية النهاية.

استأنف المؤلف سيره خلال الصالون.

– أرادت المسكينة "شارلوت" التي كانت تنتظر طفلا أن تسافر إلى "فرنسا" لتقنع "نابليون الثالث" وحكام "أوربا". قامت الثورة الشعبية. والولايات المتحدة التي أنهت حرب الاستقلال شجعت الثوار وأمدتهم بالأسلحة. أصبح الموقف خطيرا.

تصورت "آني" هذه الزوجة الحامل اليائسة تتضرع لمساعدة زوجها، تذهب بدون جدوى من بلاط إلى آخر، حتى إنها ذهبت إلى "روما" لمقابلة البابا وطرقت كل الأبواب التي توصد في وجهها في كل مكان.

قالت "آني":

– لقد انتهى كل ذلك بنهاية مأساوية.

– نعم اندلعت الثورة. وبقي "ماكسيمليان" في شجاعة في موقعه حتى النهاية. كان مقيما في "كوبريتارو" حيث قبض عليه وحوكم وأعدم بالرصاص.

أشار "فرانسوا مونسو" بيده إلى ملف.

– ستجدين هنا ملف تنفيذ الحكم عليه. لقد ذهبت إلى "كوبريتارو" في الأماكن التي عاش فيها "ماكسيمليان". لقد مات بكرامة في ١٩ حزيران (يونيو) عام ١٨٦٧. عندما ذهبوا لإحضاره كان ينظر إلى سماء

حزيران (يونيو) تلك السماء التي تأملها لآخر مرة.

وهمس:

– يا لها من سماء جميلة.

سألت "آني":

– وماذا أصبحت "شارلوت"؟

– لم تستعد عقلها حتى بعد مولد طفلها. عاشت حتى عام ١٩٢٧ وماتت متقدمة جدا في السن. مجنونة منذ نصف قرن. كانت تعتقد أن زوجها مازال حيا.

لقد تأثرت الفتاة بالقصة العاطفية أكثر من القصة التاريخية. على الرغم من أنها كانت تعرف الخطوط العريضة لهذه القصة لكنها تأثرت بالطريقة التي سردها بها "فرانسوا". كانت حساسة أكثر مما أظهرت لصوته الدافئ الذي يؤكد أهمية بعض أجزاء روايته. قالت:

– ومن قصة الحب والدموع من حلم الانتصار والمجد لم يبق شيء اليوم.

ابتسم "فرانسوا مونسو" وقال مؤكدا:

– بلى. من الممكن أن تقابلي ماكسيكيات لهن عيون زرقاء أو خضراء. يدعين أنهن جزء من أصل فرنسي. يبدو أن جنود الجنرال "بازان" كانوا يقضون إجازاتهم في هذا الإقليم. ربما يفسر ذلك هذا الأمر.

عاد إلى حديثه.

– أليس موضوعا شائقا الذي اخترته؟ إن به كل العناصر: الطموح المجد، الحرب، العواطف السياسية، السفر.

قالت "آني":

– والحب.

لم يجب "فرانسوا" على الفور. كان يمسك– بين أصابعه الطويلة– بسيجارة أخذت تحترق في بطء دون أن يلاحظها.

– الحب أيضا. لا يوجد أي تاريخ للإنسان من الممكن أن يكتب بدون حب... وهذا جيد.

أطفأ السيجارة.

– أو هذا سيئ.

الفصل الثالث عشر

في هذا الصباح نامت "آني" حتى وقت متأخر عن المعتاد. لقد أعطاها "فرانسوا مونسو" إجازة اليوم. بعد الغداء في سفارة "فرنسا" يجب أن يذهب إلى الخلف الفرنسي ليوقع بعض الكتب.

بمجرد استيقاظها، قفزت الفتاة في نشاط خارج سريرها. كانت تشعر بانها في حالة طيبة، ليس فقط لانها في إجازة، ولكن ما يسعدها أكثر انتظارها لهذا المساء. هناك حفل عشاء هذا المساء في الفندق. لقد حجز "فرانسوا مونسو" طاولة له ولضيوفه وطلب من "آني" أن تكون موجودة معهم.

لم تستغرق "آني" وقتا طويلا في ارتداء ملابسها. لبست الفستان الشانتونج الذي استعارته من صديقتها "ماري لو"، ولبست في قدميها صندلا بكعب مسطح. جمعت شعرها الطويل خلف ظهرها وربطته بشريط من الحرير.

وهكذا سلكت طريقها مقررة أن تستفيد باقصى درجة من يومها. منذ مجيئها أرادت زيارة متاحف "المكسيك" المشهورة في العالم أجمع.

نادى عامل من الفندق سيارة أجرة وأشار إلى القائد بان الزبونة تريد الذهاب إلى "شابولتبك".

التاكسي مثل كل سيارات مدينة "ماكسيكو" وكل "المكسيك" كان متهالكا. انطلق القائد بعد أن رسم علامة الصليب. قد وضع أمامه تمثالا صغيرا للسيدة العذراء.

بدون شك إنه يعتمد على العناية الإلهية وهو يسير في هذه الفوضى المرورية. رأت "آني" الدائرة المجنونة للسيارات المتتابعة التي تنطلق في سرعة كبيرة. وقالت لنفسها: "البديل الوحيد في هذا البلد هو السير على الأقدام".

سارت سيارة الأجرة بطول شارع "بايزو دي لا ريفورما". رأت "آني" منطقة "زونا روزا" حيّ الفنادق الكبرى، والمتاجر الأنيقة والسفارات حيث تنزهت من قبل.

رأت المساكن الزراعية القديمة التي تحولت إلى فنادق. تعرفت على القصر "روكوكو" لـ"ماكسيمليان" الذي تحول اليوم إلى متحف تاريخي.

أخيرا وصلت السيارة إلى "شابولتبك".

لم تكن شهرة متحف علم الإنسان من فراغ. لقد أمضت فيه "آني" كل اليوم ومعها مرشد يقود الزائرين عبر القاعات المختلفة للمتحف.

أعجبت الفتاة براوئع الفن قبل الكولومبي. في العصر الذي يسبق فتح "المكسيك" بواسطة الإسبان. وأعجبت على الأخص بحياة الهنود المعاصرة.

انتهت الزيارة في قاعة الأديان الأزتيكية. (وهو الشعب الذي كان يسكن بـ"المكسيك" قديما) حيث يقف تمثال للإلهة "كواتليكو" أم الإله الأعظم لشمس الظهر. طاف عدد كبير من السائحين يتاملون هذا التمثال العالي الذي يبلغ طوله ثلاثة أمتار ويزن اثني عشر طنا. وسمعت صيحات التعجب بكل اللغات، وكان هذا التمثال مثيرا حقا للدهشة. لم يكن للإلهة وجه او شكل. كانت تحتضنها الثعابين من كل اتجاه، تلتف حول رقبتها وصدرها وملتفة أيضا حول يديها. حتى الجيب كانت مصنوعة من الثعابين المتعانقة.

شرح المرشد بدون تعب بالإسبانية والفرنسية والإنجليزية:

– هذا التمثال يبلغ خمسة قرون. "كواتليكو" هي إلهة الأرض، وأيضا الموت.

تاثرت "آني". ولكن على الرغم من إعجابها بهذا التمثال لم تستطع إلا أن تشعر بالاشمئزاز أمام كل هذه الحيوانات الزاحفة.

انتظر الزائرون الآخرون دورهم لدخول القاعة. اتجه جميع السائحين إلى باب الخروج وانضمت إليهم "آني".

شعرت "آني" بالتعب فتوجهت إلى صحن المتحف وجلست على مقعد في ظل شجر "الأيكاليبتوس".

كان هناك رجل يجلس على بعد أمتار على المقعد الآخر. لم تلاحظه "آني". تصفحت كتيب المتحف لتجد فيه بعض المعلومات. رفعت رأسها عندما سمعت صوت أقدام. اقترب الرجل. قال:

– صباح الخير.

في دهشة تعرفت "آني" على "آلان".

لم تكن تتوقع رؤيته وهي على بعد آلاف الكيلو مترات من "فرنسا".

ردد "آلان":

– صباح الخير. لم أتصور قط أن أقابلك هنا. كيف حالك؟

تكلم بطبيعية كان لم يكن شيء بينهما، مما أدهش "آني". أجابت:

– أنا بخير... وأنت؟

– على خير ما يرام شكرا.

كان واقفا أمامها. قال مشيرا إلى مكان بجانبها:

– هل أستطيع الجلوس؟

– تفضل.

ساد الصمت.

استطرد "آلان":

– يا لها من مفاجأة. أنت في "المكسيك" إذن.

– نعم في عمل.

– أي عمل. أرجو ألا يكون تطفلا. عرفت أنك تركت معامل الأحماض.

– تركته لأني أردت دراسة الحقوق. لهذا السبب قبلت وظيفة موثقة مما سيترك لي متسعا من الوقت لأتابع المحاضرات في الجامعة.

– هذه الوظيفة كموثقة تسمح لك بالسفر أيضا؟ واسعد ما في ذلك أنها أتاحت لي فرصة رؤيتك.

فكرت "آني" ماذا يهمه في كل هذه التفاصيل؟

– لقد جئت إلى "المكسيك" بمحض المصادفة. إني أعمل للكاتب "فرانسوا مونسو" الذي سقط سكرتيره مريضا.

– آه، أجل "فرانسوا مونسو".

دهشت "آني" للهجة التي نطق بها اسم "فرانسوا مونسو". سألت:

– هل تعرفه؟

– من لا يعرفه. على الأقل من خلال شهرته كمؤلف او لشهرته كدون

جوان.

– أنا لا أهتم بحياته الخاصة. إني أساعده في عمله، وصدقني إنه يعمل كثيرا.

النهج الذي اتخذه الحديث لم يعجبها، بالتأكيد شعر "آلان" بذلك حتى إنه غير الموضوع.

– منذ قليل عندما لمحتك لم أستطع أن أتعرف عليك على الفور. لقد وجدت فيك شيئا مختلفا تبدين أكثر تصميما وأكثر أنوثة أيضا.

– لقد كبرت، صرت عجوزا.

– عجوزا بالتأكيد لا. إذا كنت قد تغيرت فذلك للأفضل. هل تعرفين أنك جميلة جدا وجذابة جدا أيضا؟

وضع يده على يد "آني".

سحبت يدها. هذه المجاملات التي كانت تسبب لها سعادة غامرة منذ بضعة أشهر لم يعد لها أي أهمية بالنسبة لها الآن. الأسوأ أنها رأت هذه المجاملات في غير مكانها. إذ يجرؤ ويغازلها بعد ما حدث بينهما.

فضلت أن تغير الموضوع وتعود بـ"آلان" إلى أرض الواقع. سألته:

– وأنت؟ ماذا تفعل في "المكسيك"؟ هل أنت بمفردك أم برفقة زوجتك؟

صمت "آلان" قليلا.

– لقد جئت إلى "المكسيك" بمفردي لأحضر مؤتمرا طبيا، لقد بقيت زوجتي في "باريس".

قالت "آني":

– عفوا، يجب أن أرحل الآن.

نهضت.

– صدقني أنا سعيدة جدا بمقابلتك.

استخدمت هذه الجملة للانسحاب.

قال "آلان":

– انتظري. لا ترحلي الآن. لماذا نفترق بهذه السرعة؟

إني غير مشغول اليوم وأنت أيضا على ما يبدو. ألا نستطيع أن نتناول

www.elromancia.com

الغداء معا؟

– آسفة، إني مشغولة.

– من الممكن أن نقضي أوقاتا سعيدة كصديقين سعيدين باللقاء. هل أنت متعجلة إلى هذا الحد للعودة؟

– أنا متعجلة.

– لدينا بالتأكيد الكثير لنقوله.

نظرت "آني" إلى عينيه.

– ألا تعتقد أننا قلنا كل شيء؟

رفع "آلان" كتفيه. وقال:

– لا يجب أن نعيش في الماضي. الغداء معا ليس به ما يسيء لأي منا. ما لم يكن هناك سبب عاطفي فإني لا أجد مانعا لقبول دعوتي.

لم تجب "آني".

استطرد "آلان":

– لست مضطرة للإفضاء لي، ولا أريد أن أكون متطفلا. لكن عندما تكونين فتاة جميلة وتعملين مع رجل جذاب مثل "فرانسوا مونسو" فإن قصص الحب لا يجب أن تغيب.

– سبق أن قلت لك إنني لا أحكم على "فرانسوا مونسو". إني أعمل من أجله وعملي مسل جدا، والباقي لا يهمني.

– لكن كل المدينة تتحدث عن ذلك. لا يوجد في حي الجالية الفرنسية في "المكسيك" سوى الحديث عن مغامرات "فرانسوا" الجميل. تقولين إنه يعمل كثيرا ربما في الصباح، ولكنه يعوض ذلك في المساء. يقال أيضا إنه مشهور. هنا نحن لسنا في "فرنسا" حيث ممكن أن يكون الرجل زوجا مخدوعا أو مثيرا للضحك. يجب أن يأخذ "مونسو" حذره. إذا كانت آخر مغازلة له مع السيدة "راميرز"، وهي فرنسية فإن زوجها مكسيكي، وفي هذا البلد لا يوجد هزل في أمور الشرف.

لم ترد "آني" أن تسمع المزيد. قالت:

– إلى اللقاء.

– ألا ترغبين حقا في تناول الغداء معي؟ وماذا عن بعد الظهر؟ اسمعي،

نستطيع أن نتقابل في مكان ما. سأكون سعيدا جدا أن أمضي معك لحظات.

– لا توجد فائدة من الإلحاح. لقد قلت لك لا.

– إني أقيم في فندق "كونتيننتال". إذا غيرت رأيك فأرسلي لي رسالة. سينتهي المؤتمر في نهاية الأسبوع لكنني سأبقى بدون شك بضعة أيام للسياحة.

فكرت "آني": "لقد أصبح "آلان" غريبا عني تماما. إن حديثه سخيف كما إنه يتصرف بنذالة مفرطة تجاهي وتجاه زوجته. ماذا بقي له من الرجل الذي فتنت به من قبل؟ لا شيء. إنني لست فقط لا أحبه، ولكنني أحتقره".

قالت بصوت فاتر:

– وداعا.

أجاب "آلان":

– إلى اللقاء، ربما قريبا.

استعدت "آني" للعشاء وهي في شبه ثورة. عند عودتها إلى الفندق حاولت أن تستريح لكنها لم تستطع ذلك. شعرت بأنها غاضبة من نفسها في كل شيء. كلما حاولت ألا تفكر في كلام "آلان" طرأت على ذهنها عباراته. لماذا شدد على مغامرات "فرانسوا مونسو"؟ هل يعتقد أنها مغرمة بهذا المؤلف؟ أم يفترض أنها على الرغم من كل ما حدث ستلقي بنفسها بين ذراعيه هو "آلان"؟

"وماذا عن مغازلته للسيدة "راميرز"؟ بدون شك إنها الشائعات التي تتردد في العالم الفرنسي الصغير في مدينة "ماكسيكو" وقد تضخمت تلك الشائعات حتى إن "آلان" يشعر بالسعادة وهو ينقلها.

رددت "آني" لنفسها: "وماذا يعنيني في ذلك؟ ليس عليه أي حق تجاهي".

وعلى الرغم من ذلك لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تشعر بالحسرة لأنها لم تلاحظ شيئا. وعندما فكرت تذكرت المكالمات الهاتفية التي كان يقطعها عندما تدخل الحجرة أو المكالمات ذات الأحاديث غير المكشوفة،

وجلسات العمل التي كان يقطعها فجأة. لابد أن "فرانسوا مونسو" كان ينظر إليها على أنها حمقاء مثل زوج السيدة "راميرز".

وفي أعماق نفسها عاودتها نفس الفكرة الملحة.

"ربما أعجبه، ولكنه لا يحبني. قبلته في الغابة لم تكن سوى حادث عرضي دون فائدة. بينما أنا لا أستطيع أن أنسى هذه القبلة. التصرف الأكثر حكمة أن أقدم استقالتي بمجرد أن نعود إلى "باريس" حتى لا أراه مرة أخرى، وأن أبتعد عنه في الوقت المناسب".

تعبت من ترديد نفس الأفكار في رأسها فقررت ألا تفكر بعد ذلك إلا في الحفل.

أخذت في البداية حماما طويلا. ممددة في البانيو الرخامي أخذت تلهو بفقاعات الصابون الطافية على سطح الماء ثم تبع هذا الحمام دش سريع. ثم في نشاط أحاطت جسدها ببشكير وبدأت تستعد.

جلست أمام التسريحة ووضعت ماكياجا خفيفا. لم تكن بشرتها تحتاج لأي من المساحيق التجميلية. وضعت ظلا داكنا فوق جفنيها لتبرز زرقة عينيها، وحددت شفتيها بلمسة من أحمر الشفاه.

نظرت إلى المرآة وقالت لنفسها: "هذا يكفي والآن إلى تسريح الشعر".

رفعت شعرها إلى أعلى رأسها وأسدلته في تجعدات، وحرصت على أن تترك السوالف حرة. وثبتت الخصلات بمشابك الشعر. وعندما انتهت تأملت النتيجة في رضا. هذا التاج من الخصلات المتموجة قد أبرز جمال رأسها ووجهها البيضاوي.

احتاجت إلى من يساعدها حتى ترتدي فستانها فاستعانت بعاملة الغرفة التي رمقتها بنظرات الإعجاب وهي تساعدها على إقفال الفستان.

رددت:

- آنستي جميلة.. جميلة.

شكرتها "آني":

- شكرا! أنت لطيفة.

عندما خرجت العاملة وقفت "آني" أمام المرآة تنظر إلى نفسها بعين ناقدة. تعرفت على نفسها بصعوبة. لقد تحولت إلى امرأة أخرى. فستان

السهرة الطويل جعلها تبدو أكثر طولا ورشاقة. كما أبرز الجزء العلوي من الفستان نحافة خصرها وتناسق قوامها، كما أبرز لون الفستان الوردي جمال لون بشرتها البرنزي وتوافق مع شقرة شعرها. أما حذاؤها الرقيق ذو الكعب العالي فقد أضفى على مظهرها أنوثة وأناقة.

قبل أن تغادر الغرفة ألقت "آني" نظرة أخيرة في المرآة. ابتسمت لنفسها. إنها لن تشوه طاولة "فرانسوا مونسو".

www.elromancia.com

الفصل الرابع عشر

كان على مدعوي "فرانسوا مونسو" أن يتقابلوا في أحد صالونات الفندق الصغيرة. كان أغلبهم قد حضر بالفعل وأخذوا يتحدثون إلى المؤلف. ودخلت "آني" وتقدمت في ثقة. عند اقترابها ساد الصمت والتفتت نحوها كل النظرات: نظرات إعجاب من الرجال، ونظرات فاحصة من السيدات.

وعلى الرغم من خجلها من أن تكون بؤرة اهتمام كل هذه النظرات إلا أن "آني" لم تظهر شيئا. تحفظها وأناقة تحركاتها قد أضفيا عليها مظهرا راقيا، بالإضافة إلى جمالها. وبين كل تلك السيدات المتزينات بشكل معقد بدا ماكياج وتسريحة "آني" البسيطتان بسحر طبيعي مدهش ومثير للإعجاب.

نظرة "فرانسوا مونسو" إليها ترجمت إعجابه في بلاغة. شعرت "آني" بداخلها بالعرفان تجاه "ماري لو" وبفضل لطف صديقتها وكرمها ترتدي هذا الفستان الغالي الأنيق هذه الليلة.

ولكن ماذا إذا كانت قد اختارت الفستان الأخضر، هل كان سيلاقي نفس القبول لدى "فرانسوا مونسو"؟

عندما اكتمل عدد المدعوين قام المؤلف بتعريفهم. كان عددهم ثمانية: كاتبان من "أمريكا" اللاتينية وأعضاء من السفارة الفرنسية ورجل وزوجته متناقضان تماما. هو رجل ذو بشرة سمراء طويل ممتلئ منحن قليلا. لابد أنه في الخمسين، والأمر الذي يثير الدهشة هو نظرته. عيناه الداكنتان تحت حاجبين كثيفين. ينبعث منهما قوة وقسوة. هي على العكس شقراء في الثلاثينات، مبتسمة، تبدو مرحة. كانت ترتدي فستانا ذا لون بيج ملتصقا بجسدها. كل ما بها يفصح عن أنها امرأة ممن يطلق عليهن مثيرة.

أشار إليهما "فرانسوا مونسو" باسم: السيدة والسيد "راميرز".

كانت حجرة الطعام الفخمة في الفندق ممتلئة بمدعوين في كامل أناقتهم. كل الرجال يرتدون السموكينج، والسيدات في ملابس السهرة.

النوافذ الكبيرة الزجاجية تطل على الصحن المضاء بالكشافات المعلقة

على أفرع الأشجار. في نهاية حجرة الطعام عزفت فرقة موسيقية الحانا كلاسيكية.

تحت أعين المشرفين المنتبهين لأقل رغبة من رغبات الزبائن، طاف الندل- يرتدون الملابس البيضاء- على المدعوين في هدوء ومهارة. كأنهم راقصون متمكنون من حركاتهم يقدمون الأطعمة الشهية على صينيات فضية.

مضى العشاء في جو مرح. لقد اختار "فرانسوا مونسو" مدعويه بعناية. النساء جميلات، والرجال شائقو الحديث. كان الملحق الثقافي للسفارة الفرنسية ذا بريق خاص. سرد بعض المواقف الطريفة التي صادفته عبر العالم، وهو يتنقل من سفارة إلى أخرى. وضحك الجميع وهم يسمعون هذه الطرف.

كانت السيدة "راميرز" تجلس إلى يمين المؤلف. خلال أكبر فترة من العشاء لم تكف عن طرح الأسئلة وتميل نحوه لتسمع الإجابات. لم تبد مهتمة- ولو ثانية واحدة- بزوجها الذي بدوره لم يعرها أي أهمية. كان يتحدث قليلا إلا عندما يتخذ الحديث موضوعا جادا. عندئذ يتحمس مما يثير انتباه الآخرين إلى أي حد يهتم بالأعمال.

بعد العشاء غادر "فرانسوا مونسو" ومدعووه قاعة الطعام وتوجهوا إلى النادي الليلي في الفندق. وفي هذا المكان كان هناك عدد غفير من النزلاء. حلبة الرقص مشغولة بالراقصين وهم يرقصون أزواجا متعانقين. جلست المجموعة إلى الطاولة المحجوزة لهم، وطلبوا المشروبات والمرطبات.

جلست السيدة "راميرز" بجوار "فرانسوا مونسو" وبعد قليل نهض الاثنان للرقص. أحد المدعوين كاتب برازيلي كان يتحدث الفرنسية بطلاقة دعا "آني" للرقص.

في الرقصة التالية تبدلت الأزواج. ومن المجموعة لم يرقص سوى السيد "راميرز" ومكسيكي آخر. استكملا في جو النادي الليلي محادثة متحمسة بالإسبانية، لابد أنها مناقشة عن الأعمال.

في الوقت الذي عادت فيه "آني" إلى مكانها عزفت الفرقة الموسيقية لحن البلوز. قطع طريق الفتاة أحد الأشخاص. إنه "فرانسوا مونسو" في غاية الأناقة في السموكينج. انحنى مبتسما. وقال:

– هل تسمحين لي بهذه الرقصة؟

– طواعية.

أحاط خصرها بذراعه وقادها إلى حلبة الرقص واسترسلا في الرقص على نغمات البلوز الهادئة. تبعت "آني" في سعادة فارسها الذي توافقت خطواته مع خطواتها.

قال "فرانسوا":

– أنت ترقصين بشكل رائع.

– لا أفعل سوى أن أتبعك وهذا سهل جدا.

وراء تفاهة الكلمات المتبادلة كان الاثنان يخفيان شعورا عميقا تملكهما بمجرد أن بدأ الرقص. أرادت "آني" ألا ينتهي اللحن. لقد كانت تشعر براحة غريبة بين ذراعي "فرانسوا".

وعندما انتهت الرقصة بدأت الفرقة الموسيقية في لحن بلوز آخر. واستمر "فرانسوا" و"آني" في الرقص دون أن يستشير كلاهما الآخر في الاستمرار كان بينهما اتفاقا ضمنيا.

ثم كانت هناك استراحة. رافق "فرانسوا" "آني" إلى الطاولة شعرت الفتاة بالحزن فجأة وسط هذا الاحتفال. احتفظت بحنين لتلك اللحظة القصيرة التي ضمها إليه "فرانسوا".

طوال السهرة دعيت "آني" للرقص بدون توقف، ولكن لم تواتها فرصة مراقصة "فرانسوا" مرة أخرى.

في لحظة ما لم تره واختفت السيدة "راميرز" أيضا. هل كانت ثرثرة "آلان" حقيقة؟ ما الذي يهمها في ذلك؟ لقد أقسمت ألا تعاود التفكير في ذلك مرة أخرى.

ازدحم النادي الليلي أكثر وأكثر، وشعرت "آني" بالحر. بعد أن رقصت كثيرا شعرت برغبة في أن تتنفس الهواء. خرجت دون أن يلاحظها أحد وتوجهت نحو صحن الفندق. ولكن في هذا المكان أيضا كان هناك العديد من الأشخاص ملتفين حول الطاولات.

توجهت "آني" نحو حديقة الفندق.

كانت الحديقة خالية في هذا الوقت. لم تكن مضاءة سوى الممرات.

توجهت "آني" إلى أحد المقاعد البعيدة لتكون في هدوء. في الوقت الذي اقتربت فيه لمحت ظلا يختفي خلف مجموعة من النباتات. توقفت في حيرة.

إنه ظل رجل. ماذا يفعل في الحديقة في هذا الوقت المتأخر من الليل. يبدو أنه يختفي، ربما يكون قاطع طريق؟ كل مدينة "المكسيك" تعرف أن هناك هذا المساء حفلة في فندق "ماريا إيزابيل شيراتون" وأن هناك عددا كبيرا من السيدات والأمريكيات خاصة اللاتي يتحلين بالمجوهرات الثمينة. وهذا كان كافيا لجذب اللصوص. لم تكن "آني" جبانة. قررت أنه من الأفضل الرجوع لكي تخبر بأسرع وقت إدارة الفندق.

في هذه اللحظة ظهر الرجل. يبدو أنه يحاول التحرك دون أن يثير أي صوت. ولقد نجح في ذلك فهو يتمتع برشاقة ملحوظة رغم امتلاء جسده. خطا بضع خطوات، وخلال وقت قصير أضاء شعاع وجهه. لم تستطع "آني" أن تكبح دهشتها. لقد تعرفت عليه. هذا الرجل ضخم الجثة المنحني قليلا، إنه السيد "راميرز" لماذا يتواجد في هذا المكان؟ ماذا يفعل وراء هذه الأشجار مختبئا كأنه لص أو متآمر؟ من يتبع؟ من؟ ما لم تكن زوجته و"فرانسوا مونسو"؟

هذا الرجل الذي يبدو كأنه لا يهتم سوى بالأرقام، قد لاحظ إذن اختفاءهما. وبدوره قام يبحث عنهما.

ابتعدت "آني" عن الطريق الذي يسلكه السيد "راميرز" متوخية هي الأخرى الحذر حتى لا يلاحظ وجودها، لكن أين يذهب! وكيف تخبر "فرانسوا مونسو" عن الخطر الذي يتهدده؟

شعرت بالذعر ينتابها. تذكرت كل ما عرفت وسمعت عن التقاليد المكسيكية. المسدس يعد جزءا من حقوق المواطن في هذا البلد، الذي يسمح فيه القانون بأن يحمل المواطنون الأسلحة التي تكفل لهم الدفاع عن أنفسهم. والرجال يحتفظون بالمسدس في جيوبهم كما يحتفظون في بلاد أخرى بالولاعات. ويعتبر انتشار الأسلحة النارية، المقترن بميل المكسيكيين إلى العنف، سببا رئيسيا في القصص المحزنة العديدة التي تتداولها الأفواه. أمام سلوك السيد "راميرز" الغريب لم تشك "آني" في أن يكون في جيبه

مسدس.

اتجه السيد "راميرز" إلى يمينه في اتجاه مزرعة الورد. واتخذت "آني" الاتجاه المعاكس. لقد طرأت بذهنها فكرة. كان هناك خلف حمام السباحة كوخ يستخدم لوضع ألعاب الأطفال. من يستطيع أن يذهب إلى هذا المكان ما لم تكن امرأة تواعد رجلا، ولا تريد أن يكتشف أمرها؟

لم يكن لدى "آني" سوى وقت الذهاب إلى هناك. ما لم تكن مخطئة ستجد "فرانسوا مونسو" والسيدة "راميرز" في هذا المكان. وإذا كانت مخطئة فربما يقابلهما السيد "راميرز".

في عجلة اخترقت الفتاة طريقها بين الشجيرات. ترنحت والفستان الطويل يصعّب عليها الحركة، وكذلك كعب الحذاء الذي يغرز في الأرض. كما تعلقت الأفرع ذات الأشواك بالفستان.

أخيرا وصلت إلى الكوخ. وصل إلى مسمعها صوت أكد لها صحة نظريتها. كان "فرانسوا مونسو" هو المتحدث، وكان يبدو مغتاظا. قال:

– كوني عاقلة. من الشهور أن نبقى هنا أكثر من ذلك. سيلاحظون تغيبنا. لم يكن عليك أن تحددي معي موعدا، إنني لم آت إلا لتهدئتك. لا تكوني كالأطفال المدللين.

قالت السيدة "راميرز" معترضة:

– "فرانسوا" نحن لم نتقابل في تلك الأيام الأخيرة. واشعر بحزن شديد عندما لا أراك.

في هذه اللحظة دخلت "آني". قطب "فرانسوا" حاجبيه غيظا حين رآها. ولكن لم تعطه "آني" الفرصة ليعترض.

أشارت بيدها إلى عمق الحديقة وقالت لاهثة:

– سيد "راميرز"!

صاحت السيدة "راميرز" من الفزع وأسرعت إلى الخارج. راحت تسلك الطريق المؤدي إلى مزرعة الورد. أمسكت "آني" بذراعها وأشارت إلى الاتجاه الآخر.

طارت السيدة "راميرز" من الخوف متناسية دلالها واختفت في الظلام.

كانت الأحداث التي تبعت ذلك سريعة جدا. إما أن السيد "راميرز" قد

فكر بعد بحث بدون فائدة في هذا المكان أو أنه قد سمع صوتا، فقد وصل إلى الكوخ بعد لحظات من رحيل زوجته. توقف عند العتبة يرقب فريسته. لقد لاحظ في الظلام ظل رجل وامرأة شقراء ترتدي فستانا بلون فاتح.

تقدم "فرانسوا مونسو" ولاحظت "آني" أنه يحتفظ بذراعه اليمنى ملاصقا لجسده. عندما رأت الرجل يرفع مقدمة ذراعه أدركت أنه سيطلق النار. عندئذ دون أن تفكر اندفعت ودفعت "فرانسوا مونسو" بقوة حتى إنه طرح على الأرض دهشا وبذلك ابتعدت عن مسار الرصاصة.

سمعت "آني" فرقعة ثانية وشعرت بالم شديد في كتفها اليسرى وكأنها تلقت ضربة سوط.

صاح "فرانسوا مونسو":

– "آني"!

انتفض "راميرز" عند سماع هذا الاسم. بدا غير مدرك للموقف. بقي مشدوها والمسدس في يده.

قال "فرانسوا مونسو":

– ساعدني. ترى جيدا أنها مصابة.

همست "آني":

– لا، أنا لا أتالم.

أمسك بها "فرانسوا مونسو" ليساعدها على الخروج من الكوخ. شعرت فجاة بوهن شديد. شيء ساخن يسيل خلال صدرها و"فرانسوا" و"راميرز" إلى جوارها يبدو عليهما القلق.

فكرت "آني":

– لقد مضى كل شيء على ما يرام. الشيء الوحيد الذي يضايقني هو أنني أفسدت الفستان.

فجاة وهنت الأرض تحت قدميها وفقدت وعيها.

مضت لحظات الفزع الأولى، ويجب مواجهة الموقف بينما بقي "فرانسوا مونسو" بجانب "آني" فاقدة الوعي وراقدة على الحشائش توجه السيد "راميرز" نحو الفندق ليطلب النجدة.

في صحن الفندق قابل الملحق الثقافي لسفارة "فرنسا" الذي كان

يتحدث مع أحد أعضاء السفارة الإيطالية. أشار "راميرز" إلى الدبلوماسي الفرنسي الذي اعتذر لصديقه واقترب من المكسيكي.

الذي أوضح له في عبارات قصيرة أن هناك حادثا قد أصاب "آني" في الحديقة، وأن "فرانسوا مونسو" معها، فلم يطرح الدبلوماسي أية أسئلة. وارتسم على وجهه علامات القلق. قال:

– قبل كل شيء يجب مقابلة مدير الفندق.

عبر الرجلان الصالون الكبير ووصلا أمام باب من الخشب المنحوت. أسرع إليهما الخادم. سأل:

– ماذا تريدان؟

أجاب الملحق الثقافي:

– نريد أن نقابل المدير على الفور.

– سيدي المدير في مكتبه، لكني لست متأكدا أنه يستطيع مقابلتكما.

– الأمر عاجل. أعطه بطاقتي من فضلك.

أخرج الدبلوماسي من حافظته بطاقة وكتب عليها: "بعض الوقت" وأعطاها للخادم الذي ذهب ليطرق الباب.

بعد بضع لحظات ظهر الخادم. وترك باب المكتب مفتوحا وأدخل الملحق الثقافي والسيد "راميرز".

عند دخولهما نهض مدير الفندق وأشار إلى مقعدين من الجلد.

كان المدير ممسكا بالكارت الذي استلمه. وبدون مقدمات سأل:

– هذه الكلمات القليلة غامضة، ماذا تعني؟ وكيف أستطيع أن أساعدكما؟

بعد نظرة قصيرة متبادلة بين الملحق الثقافي و"راميرز"، تحدث الأخير.

بكلمات موجزة وصف ما حدث متفاديا التفاصيل بأقصى ما يستطيع. كان الموقف خطيرا إذ يجب نقل الفتاة إلى المستشفى بأسرع وقت وفي سرية تامة. قبل كل شيء يجب استدعاء طبيب ليقدم لها الإسعافات الأولية، لأنها فقدت الكثير من الدم.

كان المدير شابا وصاحب قرار. لم يطرح أي أسئلة أخرى.

– لدينا هنا كل ما ينفع لتقديم المساعدات الأولية كما أن هناك ممرضة

متواجدة في الفندق بشكل دائم. سأستدعي الطبيب.

اتصل بالتليفون وأعطى أوامر موجزة ومحددة. بدا هادئا ولكن جبهته متقطب يكشف عن قلقه.

قبل أن يغادر المكتب قال الدبلوماسي.

– هل أنت متأكد تماما من كتمان الممرضة والعاملين؟ إذا ذاع أمر هذا الحادث فسيكون الموقف مؤسفا جدا...

السيد "راميرز" من أكثر رجال الأعمال شهرة في "المكسيك" كما سيكون من المحزن أن يتورط مؤلف فرنسي ذائع الصيت مثل "فرانسوا مونسو" فيما قد يكون فضيحة.

أجاب المدير:

– لا تخش شيئا، يمكنك أن تثق بي. لن يتسرب أي خبر عما حدث هذا المساء.

قرروا حتى لا يشدوا الانتباه أن يذهب الدبلوماسي والسيد "راميرز" أولا ويتبعهما المدير. وأن تتوجه الممرضة إلى الكوخ مباشرة.

عبر الدبلوماسي والسيد "راميرز" الصالون بخطى هادئة. في مرورهما صافحا الشخصيات المعروفة لهما كأنه ليس هناك أي شيء غير طبيعي. وقابلا وسط الجمهور الغفير بعض السادة المتجهين نحو الحانة. قال أحدهم مخاطبا الدبلوماسي.

– مساء الخير يا صديقي العزيز.

توقف الدبلوماسي في دهشة. في وسط قلقه لم يتعرف على محدثه. فاعتذر قائلا:

– آسف، لم أرك. إني سعيد بمقابلتك.

– هل تريد المجيء معنا إلى الحانة؟ إني مع بعض الأصدقاء، لابد أنك تعرفهم بالتأكيد. نحن نتجول في الشيراتون.

تردد الدبلوماسي قليلا ثم قرر. خفض صوته وقال:

– من المستحيل أن أقبل دعوتك وآسف لأني أقطع لحظات استمتاعك، ولكنك طبيب فرنسي؛ لهذا إني أدعوك هل تستطيع مرافقتي؟

ثم أضاف مشيرا إلى السيد "راميرز" الذي وقف مبتعدا.

– إنه أمر طارئ. لقد جرح شخص ما.

أجاب الطبيب بدون تردد:

– بالتأكيد أني أتبعك.

أصيب بشيء من الدهشة عندما عبر الثلاثة صحن الفندق وتوغلوا في عمق الحديقة ولكنه احتفظ بأفكاره لنفسه.

كانت "آني" لا تزال راقدة فاقدة الوعي عندما وصل الثلاثة إلى مكان الحادث وانضم إليهم بعد قليل مدير الفندق.

كان "فرانسوا مونسو" جاثيا على ركبتيه بجانب الفتاة واضعا منديله على الجرح ليضغط ويوقف النزيف. ولكيلا تصاب "آني" بالبرد فقد غطاها بسترته السموكينج.

عندما اقتربوا نحوه أظهر بعض الارتياح على الرغم من استمرار وجود علامات القلق الشديد على وجهه، فهو يتألم وهو يرى الدم يتدفق من الجرح. لقد بدا له أن الانتظار ليس له نهاية.

قدم الدبلوماسي الطبيب الفرنسي بصورة موجزة.

– الدكتور "آلان كورديبه" مساعد الدكتور "بلانشيه" وهو موجود هنا في "ماكسيكو" لحضور مؤتمر طبي. لقد أراد المساعدة.

مال "آلان" نحو الجريحة ولدهشته الكبرى تعرف على "آني". لم يفهم شيئا. منذ الكلمات الأولى للدبلوماسي، وعندما شاهد السيد "راميرز" إلى جواره خمن ماذا حدث، ولكنه كان يعتقد أن الضحية هي السيدة "راميرز". رفع رأسه فرأى "فرانسوا مونسو" شاحبا و"راميرز" يبدو عليه الحزن الشديد.

لم يكن هناك وقت ليفقده إذ بدأ "آلان" عمله بفحص سريع للجرح.

كانت الممرضة التي جاءت فيما بعد ومعها بعض الأدوات الأولية نافعة وذات خبرة. ساعدت "آلان" الذي أعطى "آني" حقنة بعد أن ربط الجرح لتقويتها.

قرروا أن تنقل الفتاة إلى مستشفى آمن وأن تخرج من باب خفي في نهاية الحديقة. حتى لا يستيقظ فضول المتطفلين. دبرت الممرضة عملية النقل. ظهر رجلا عربة الإسعاف هادئين وسريعين. راقب "آلان" وضع

الجريحة على النقالة واقترح أن يرافقها إلى المستشفى ويتحدث إلى الجراح.

ومضى الموكب وسار "آلان" و"فرانسوا" على جانبي النقالة. ويتبعهم المدير والممرضة.

ورفعت الجريحة إلى سيارة الإسعاف واتخذ بها "آلان" و"فرانسوا" أيضا مكانا. وانطلقت السيارة على الفور.

عاد "راميرز" والدبلوماسي إلى النادي الليلي. وقدما لمدعوي "فرانسوا مونسو" اعتذاره موضحين أن المؤلف قد اضطر إلى الذهاب إلى غرفته لتلقي مكالمة هاتفية شديدة الأهمية. على حلبة الرقص التي كانت شبه خالية في هذا الوقت، كانت السيدة "راميرز" لاهية ولا تعير ما حدث لفارسها أي أهمية.

عندما رأت عودة زوجها لم تستطع أن تكبح رعشة قلق اعترتها. أرادت أن تعرف ماذا حدث بعد هروبها. لم يرها زوجها. كانت متأكدة من ذلك، وإلا كان تبعها، ولكن لماذا بقي كل هذا الوقت غائبا؟ وأين ذهب إذن "فرانسوا" و"آني"؟

لم تجرؤ السيدة "راميرز" على التقدم نحو زوجها، من بعيد نظرت إليه مبتسمة، ولكن لم ينظر إليها "راميرز".

ذهب ليجلس بالقرب من الملحق الثقافي وطلب الاثنان كوبين من الشراب.

الفصل الخامس عشر

كان الضباب كثيفا. لماذا يتواجد الضباب في غرفة المستشفى؟ ربما يكون سبب ذلك الجبل القريب. لم تستطع "آني" أن تعرف إذا كانت النافذة مفتوحة. كانت الرائحة أيضا غير مستحبة. إنها رائحة مستشفى. لم تستطع "آني" أن تفتح عينيها. إن جسدها ثقيل وتشعر بالألم في كل جزء منه. خاصة جانبها الأيسر. حاولت- بدون فائدة- أن ترفع ذراعها.

قال صوت بجوارها:

- لا تتحركي، ابقي ساكنة.

تأوهت:

- ذراعي، ذراعي... ماذا به.

- لا شيء.

حاولت "آني" أن تحركه، لكنها شعرت بألم شديد في كتفها اليسرى فتأوهت.

ردد الصوت:

- لا تتحركي.

من هو الرجل الذي يتحدث؟ بدأ الضباب ينقشع، وتعرفت "آني" على شبحين في ملابس بيضاء يتحركان. فوقها كان هناك ضوء يثير ضيقها.

قالت سيدة:

- لقد استيقظت الآن.

أجاب الرجل:

- اتركوها على الطاولة. راقبوها، لا يجب أن تتحرك.

فكرت "آني"، إنهم يتحدثون عنها كأنهم يتحدثون عن طفل صغير أو حيوان.

أمسك الرجل برسغها ونظر إلى ساعته، إنه يعد النبض. سألته الفتاة:

- من أنت؟

- الدكتور "جواريز"، جراح. بعد الحادث الذي تعرضت له تم نقلك إلى عيادتي.

حاولت "آني" أن تتذكر.

- الحادث؟ أي حادث؟

- الأمر ليس خطيرا، ولكنك تتحدثين كثيرا. استريحي.

شيئا فشيئا أصبحت الصورة أكثر وضوحا حولها. لقد لفوها في غطاء من الصوف الأبيض، وهي ممددة في ضوء شديد منبعث من الكشاف الذي يضيء طاولة العمليات الجراحية.

كانت ذراعها اليسرى متصلة من خلال خرطوم طويل بزجاجة معلقة بحامل معدني. من هذه الزجاجة ينزل سائل عديم اللون نقطة نقطة. لاحظت "آني" وجود رباط كثيف حول كتفها اليسرى.

"لقد أجروا لي جراحة. لكن لماذا؟".

إنها لا تذكر شيئا. المجهود الذي بذلته لتستجمع أفكارها قد أصابها بالتعب. إنها مجهدة تماما، وألم ملح تشعر به في كتفها ويمنعها من النوم.

قالت:

- أشعر بالألم.

- سأعطيك حقنة.

لاحظت "آني" أن الغطاء يرفع. وشعرت بوخزة في فخذها. دخل شخص ما حجرة العمليات واقترب من الطاولة.

- هل أنت بخير الآن؟

إنه "آلان"! يرتدي هو الآخر قميصا أبيض.

"ماذا يفعل هنا؟ لابد أنني أحلم، لقد تركته في المتحف هذا الصباح".

قال الجراح:

- نبضها جيد ومن الممكن نقلها إلى غرفتها.

شعرت "آني" بأنهم يحملونها بعناية ويضعونها على نقالة. سمعت صوت فتح الباب، صوت العجلات المطاطية على البلاط. كانت الممرضة تحمل زجاجة الدواء التي لا تزال متصلة بذراع المريضة من خلال الخرطوم الطويل.

سارت النقالة في ردهة. ثم ركبوا مصعدا ووصلوا إلى إحدى الغرف.

نقلت ممرضتان الفتاة إلى السرير حيث استقرت. قال صوت أجش واضح

به القلق:

– كيف حالها؟ ما رأيك يا دكتور!

– لقد نجحت العملية، غدا ساستطيع الإجابة عن سؤالك بشكل أكثر دقة.

– ستنقذها، أليس كذلك؟

أجاب دكتور "جواريز" بكلمات لم تسمعها "آني".

– قامت بجهد كبير لتفتح عينيها. كان "فرانسوا مونسو" واقفا بالقرب من سريرها. كان شاحبا، وتحت عينيه هالتان سوداوان، وشعره أشعث.

كان ينظر إلى الفتاة في قلق، وهي تبدو ضعيفة، ولا حول لها ولا قوة. نظر إلى هذا الوجه المؤثر، وعينيها اللتين أنهكهما الألم. ذلك الوجه الذي أصبح أكثر شحوبا لانعكاس لون حجرة المستشفى الأبيض.

قال:

– "آني"، "آني".

كان في ندائه كل حنان العالم.

قال الدكتور "جواريز".

– أنت تجهدها، لا تجعلها تتحدث.

أرادت "آني" أن تجيب نداء "فرانسوا" أو تكلمه وتطمئنه، ولكن بدأ مفعول المخدر فلم تستطع أن تنطق بكلمة واحدة.

في يأس حاولت أن تبقى مستيقظة، على الرغم من احتياجها الشديد للنوم، ولكن بعد قليل أغمضت عينيها واستسلمت لنوم عميق.

خلال أسبوع طويل كانت حالة "آني" الصحية غير مطمئنة. كانت تتعافى بصعوبة من الجرح الذي أصابها وبقيت ضعيفة نتيجة لكمية الدم الكبيرة التي فقدتها. كان الجراح قلقا.

في المساء عندما ترتفع درجة حرارتها كانت تهذي. كانت ترى دائما نفس الكابوس. ترى نفسها في مكان مجهول تلبس فستانا طويلا جدا. تحاول أن تخبر شخصا مجهولا بخطر غامض لا تعرف طبيعته. كانت تجري لاهثة وتشعر بالحرارة وتلقي بالملاءات والأغطية.!

اضطرت مرافقتها إلى أن تستدعي الممرضة، وحاولت الاثنتان تهدئة

الفتاة في صعوبة، ومنعها من إزاحة الأغطية.

من وقت لآخر كانت "آني" تتعرض للهذيان ثم تفيق وتلاحظ أن هناك من يحيط بها. ذات مرة تعرفت على "فرانسوا مونسو"، يبدو أنه قد بقي طويلا إلى جوارها. في لحظة رحيله مال نحوها وقبل جبينها في حنان. لكنها لم تكن متأكدة من ذلك؛ إنها ترى أشياء غريبة كثيرة في هذيانها.

أخيرا جاء اليوم الذي أفاقت فيه "آني". في هذا الصباح كانت المرة الأولى التي تستيقظ فيها بدون أن تكون مصابة بالحمى، واكتشفت كل ما يحيط بها. كانت تنام في حجرة حوائطها مطلية باللون الأبيض. من خلال النافذة رأت حديقة وبعيدا رأت مجموعة من الجبال. إنها في مدينة "ماكسيكو" في عيادة طبية.

شعر الدكتور "جواريز" بالسعادة عندما لاحظ تحسن الحالة الصحية لمريضته. وبطلب من "آني" شرح لها تفاصيل جرحها. من حسن الحظ أن الرصاصة قد انحرفت ولم تخترق عظم الكتف. واستخراج الرصاصة قد استدعى عملية دقيقة، ولكنها نجحت تماما.

أضاف الجراح:

– المسألة ليست سوى عنصر الوقت. إذا لم ترتفع درجة حرارتك ستعودين إلى البيت قريبا.

في مساء ذات اليوم كانت "آني" نائمة عندما جاء "فرانسوا" ليزورها زيارته اليومية. جلس في هدوء وتأمل الفتاة وعيناها مقفلتان.

نهض في اللحظة التي استيقظت فيها "آني". فتحت عينيها في اللحظة التي كان سيودعها "فرانسوا" هل سيفعل كما كان يفعل من قبل؟ أم كانت "آني" تحلم وتتخيل هذه القبلة الحانية؟ إذا أدرك "فرانسوا" أنها مستيقظة. هل سيلقي عليها تحية رسمية؟

كانت تتقاسمها الرغبة في أن تتكلم مع "فرانسوا" والرغبة في أن تدعه لا يعرف أنها واعية. لماذا لا تترك هذا الطقس الجميل الذي اعتاد مزاولته أن يحدث ولو لمرة أخيرة؟

مال "فرانسوا" نحو "آني". وشعرت بشفتيه على جبينها في حنان بالغ. تظاهرت "آني" بأنها نائمة، ولم تتحرك. كانت تنعم بهذه اللحظة الغالية،

عندما نهض "فرانسوا" كبحت زفرة أسف.

في هذه الليلة نامت مثل الطفل واستيقظت في اليوم التالي نشيطة.

كان "فرانسوا" يأتي ليراها في كل يوم. وكان ذلك أغلب المرات بعد الظهر عندما ينتهي من أعماله في الصباح.

كان يحيط "آني" برعايته واهتمامه. كان يقدم لها المقليات مستجيبا لشهيتها المفتوحة دائما للطعام، كما كان يحضر لها المجلات الفرنسية لتتسلى. كما لم تخل غرفتها من الورد والنباتات النادرة.

كانت "آني" تنتظر زيارته بفارغ الصبر وهي الآن تذكر الأحداث المؤسفة التي مرت بها في حديقة الفندق. لم يتحدث "فرانسوا" عن تلك الأحداث معها. فقد كان يرى أنها مازالت ضعيفة حتى يوفر بنفسها تلك الانفعالات العنيفة.

لم يعد يقبلها عند رحيله. وأحيانا كان يظهر بعض التحفظ أو الخجل تجاه الفتاة. كان هذا الأمر غير متوقع بالنسبة لها. وافترضت "آني" أن هذا الخجل قد يرجع إلى إحساسه بالأسف لما حدث في حديقة الفندق.

لم تكن الزيارة لـ"آني" مسموحة بعد إلا لـ "فرانسوا مونسو" فقط. مما أثار دهشة الفتاة عندما جاءت الممرضة لتخبرها بأن هناك شخصا يريد زيارتها.

أوضحت الممرضة.

– لم نستطع أن نرده لأنه الطبيب الفرنسي الذي نقلك بعد الحادث.

كانت "آني" قد عرفت أن "آلان" قد شارك في إنقاذها فلم تستطع أن ترفض مقابلته. وطلبت أن يقودوه إلى غرفتها.

بمجرد دخول "آلان" شكرته الفتاة في حرارة.

– إني مدينة لك بالعرفان لكل ما فعلت من أجلي. كنت أنوي أن أعبر لك عن شكري كتابة بمجرد أن أتماثل للشفاء وأستطيع أن أمسك بالقلم. لكنني سعيدة بهذه الفرصة التي أتاحت لي تقديم شكري لك شخصيا.

أجاب "آلان":

– ليس عليك أن تشكريني، لم أفعل سوى واجبي كطبيب. لقد عرفت أن حالتك الصحية قد تحسنت. قبل أن أصعد إليك قابلت الطبيب المقيم

الذي أظهر تفاؤله. أنت مازلت ضعيفة، ولكن ذلك طبيعي بعد أي عملية جراحية.

قالت "آني":

– كنت أعتقد أنك قد عدت إلى "فرنسا" منذ وقت طويل.

– في الواقع لم أكن أفكر في العودة إلى مدينة "ماكسيكو". لقد انتهى المؤتمر وسافرت إلى الولايات المتحدة، وتحديدا إلى "بوسطن"، لمقابلة أحد زملائي البيولوجيين. وساعود إلى "فرنسا". إن الطائرة تسهل الانتقال وبسرعة. والآن وقد تحسنت حالتك فمتى تنوين العودة إلى "فرنسا"؟

– لست أعرف... لست قادرة بعد على السفر كل هذه المسافة الطويلة... يجب أن أستعيد قوتي أولا.

– يمكنك السفر في طائرة صحية مع شخصية طبية.

– لم أفكر في هذا الحل.

– لم لا؟ ربما يكون الحل الأمثل. سيكون الحال أفضل لك في "فرنسا" لاستكمال علاجك عما هو عليه في بلد أجنبي.

– لكن ليس لدي السبل لركوب طائرة صحية.

– و"راميرز"؟

– "راميرز"؟

– نعم، إنه هو المسؤول وهو مدين لك بذلك. إنه رجل واسع الثراء ويستطيع ذلك. وأعتقد أنه سيشعر براحة كبيرة عندما يعرف أنك ستغادرين "المكسيك".

– لا مجال لذلك. لا أريد أن أطلب من السيد "راميرز" أي شيء، سأنتظر وأعود عندما أشعر بتحسن.

– لماذا لا تعودين على الفور؟ وبما أني هنا فسأرافقك في الطائرة الصحية، وفي "باريس" سأضعك بين يدي أكبر الإخصائيين، وساعثر لك على مستشفى جيد حيث تجدين الرعاية الفائقة.

– وحيث تستطيع أن تراني بشكل متكرر، أعتقد.

– ماذا تقصدين بذلك؟

– لا أقصد شيئا. إنك أنت من يحاول إقناعي وإجابتي واضحة: لن أعود

الآن.

– بسبب "فرانسوا مونسو"؟

– لا تدخله في هذا الشان.

– لانك ربما ترين انه لا شان له في ذلك؟ الا تلاحظين ان بسببه كنت ستفقدين حياتك؟ ما الذي تاملينه– إذن– من السيد "مونسو"؟

– لا آمل منه شيئا.

– لا تاملين حتى ان يطلبك يوما ما للزواج؟

نظرت "آني" إلى "آلان" في وجهه. وقالت:

– أعتقد انه من الافضل الا نتطرق لموضوع الزواج.

– هل تعتقدين انك ستكونين اكثر تعاسة معي؟

– معك! باي صفة؟ ربما بصفة عشيقة؟

– هل ستكونين اكثر تعاسة معي بصفة عشيقة عما ستكونين عليه كعشيقة لـ"مونسو"؟ رجل له كل هذه المغامرات النسائية!

– هل رايت إلام يقـود ذلك؟ مـعي على الاقل لن يواجـهك خطر الفضيحة. ساهتم بسمعتك.

نهضت "آني" واصبحت شاحبة تماما.

– ذلك لانك انانية ومنافق تريد كل شيء لحياتك، تريد زوجتك التي يرجع إليها فضل تقدمك العملي وعلاقاتك، لكنها قبيحة ولا تحبها. وتريد من ناحية أخرى العشيقة التي تعجبك والتي ستكون وسيلة لتسليتك ولذتك، ولكنها لا تدر عليك اي نفع في حياتك العملية. ازدواج جميل: الجد والهزل في آن واحد.

– ماذا تقولين؟ أنت لست سوى طفلة، ولا تعرفين الحياة.

مرتعشة من شعورها بالإهانة، قاطعته "آني" قائلة:

– إني لا اسمح لك بمخاطبتي بهذا الشكل. انا لست عشيقة لاحد: لا لـ"فرانسوا مونسو" ولا لاي احد. لتع ذلك.

أراد "آلان" الرد. أوقفته "آني" قائلة:

– اخرج. اذهب. لقد أفسدت الذكرى التي احتفظت بها للحظات الجميلة التي كانت لنا معا. لا أريد أن أراك بعد الآن.

– لا تغضبي هكذا. لم أرد إهانتك: انت هنا كالعصفور فوق غصن الشجرة واعتقدت انني أساعدك. سنتصالح. ولاثبت لك انني تحت أمرك سابقى هنا يومين. إني في فندق "الكونتينينتال". إذا احتجت لاي شيء مهما كان فابعثي لي برسالة عندئذ سأهرع إليك على الفور.

لم تجب. استطرد "آلان" ببعض الكلمات، لكنه رأى أنها أوشكت أن تفقد وعيها. وهنا تفوق إحساسه بواجب الطبيب على صفته كإنسان. فقال:

– ساتركك، وأتمنى أن أراك قريبا.

بعد رحيل "آلان" شعرت الفتاة بحزن كبير يعتريها. هكذا، لقد عاد "آلان" إلى مدينة "ماكسيكو"؛ لانه اعتقد أنها الفرصة المناسبة ليحقق اهدافه: أن يعيدها إلى "فرنسا" ويجعل منها عشيقته. يتصور انه بعد أن رفضها زوجة ستكون سعيدة بأن تسقط بين احضانه. هذا الرجل يصيبها باشمئزاز. إنها لا تتصور كيف خدعت فيه في يوم من الأيام واعتقدت انها تحبه. لقد اخطات خطأ كبيرا.

ألم تخطئ أيضا في شعورها تجاه "فرانسوا"؟

كم كانت تشعر بالوحدة في هذه اللحظات؟ "فرانسوا" لن يحبها ابدا. إنه يخرج من مغامرة ليدخل في الأخرى مفضلا النساء الجميلات المدللات اللاتي لم يكنّ بالنسبة له سوى مغامرات ليس لها مستقبل. وعلى الرغم من ذلك لم تستطع "آني" أن تمنع نفسها من الشعور بالغيرة عندما اكتشفت تورطه مع السيدة "راميرز".

لم تندم "آني" على تصرفها. لقد فعلت ذلك من أجل "فرانسوا" حتى لو كان ذلك قد ساهم في إنقاذ السيدة "راميرز" التي لم تكن سوى مغامرة سريعة وقصيرة. لم ترد "آني" قط ان تلعب هذا الدور في حياة "فرانسوا". إنها تحبه كثيرا.

في المساء لم تستطع "آني" أن تتناول العشاء وانتابتها الحمى. قرر الجراح أن تمنع عنها كل الزيارات بعد أن تحقق من تعبها بعد آخر زيارة... على الا يسمح لأحد برؤيتها سوى السيد "مونسو".

الفصل السادس عشر

في اليوم التالي تحسنت "آني" وسمح لها الطبيب بأن تنزل بعد الظهر في حديقة المستشفى وتتريض قليلا. كان رأيه أن بعض التمرينات ستساعدها على استرداد قوتها والشفاء التام.

بعد فترة الراحة وقت الظهيرة، ساعدت الممرضة "آني" التي كانت تشعر بوهن ساقيها، على أن تنزل إلى الحديقة وتخطو بضع خطوات. بعد هذه النزهة القصيرة، تمددت الفتاة على مقعد طويل في ركن هادئ ومظلل.

في ظل الأشجار جلست تنظر حولها مستمتعة بألوان الورد والخضرة الوفيرة وتغريد العصافير. استنشقت الهواء المنعش بعمق مستمتعة بنعمة الحياة والإحساس بكل ما يحيطها.

كانت دهشتها كبيرة عندما لمحت "فرانسوا" يتقدم نحوها، سعدت بذلك. إنه لا يأتي مبكرا هكذا قط، ربما كان لديه متسع من الوقت اليوم، وستكون زيارته طويلة، هذه الفكرة أسعدت "آني" كثيرا. استقبلت "فرانسوا" بابتسامة جميلة ومدت إليه يدها.

كالمعتاد كان "فرانسوا" يحمل إليها الجرائد والمجلات. سألها في اهتمام عن صحتها وهنأها للتقدم الذي طرأ عليها.

وعلى الفور لاحظت "آني" أنه على الرغم من حديثه الودود فإن "فرانسوا" يفتقر إلى ابتسامته المعتادة. كان شيئا يشغله يبدو غائبا ويجيبها وهو شارد. أصبح الحديث مملا ثم توقف فجأة وحزنت "آني" قائلة لنفسها: "يبدو أنه يشعر بالسأم معي. الآن وقد عرف أنني ابتعدت عن الخطر؛ بدأ يضيق بزياراتي، ربما لم يعد يأتي إلا بدافع الواجب".

ساد الصمت بينهما وأصبح ثقيلا.

بحثت "آني" عن أي موضوع قد يثير اهتمام المؤلف، ولكنه أخذ المبادرة. قال:

– الآن وقد تحسنت حالتك الصحية فأنت تتوقين للعودة إلى "فرنسا".

في دهشة نظرت إليه "آني":

– لكن... للحق يجب أن أقول لك إنني لم أفكر في العودة في تلك

الأيام الأخيرة. ربما لأني لم أكن في قوة تسمح لي بمواجهة فكرة السفر.

– ماذا لو لديك فرصة لتسافري؟

– ماذا تقصد؟

– يجب التفكير في صحتك قبل كل شيء.

– حتى الآن تلقيت علاجا طيبا، وليس لدي أي سبب للرغبة في العودة. لكن ربما أستطيع ذلك. ثق بأنني لن أمد إقامتي هنا بدون داع.

اكتسى وجه "فرانسوا" بتعبير جامد لم تستطع تفسيره.

فكرت "آني": "وجودي يضايقه. يبدو أنه يريدني أن أرحل. هل ذلك لأنني أذكره بالأحداث التي يريد نسيانها؟"

استطرد "فرانسوا":

– أعرف قدر الخدمة التي أسديتها إلي بمجيئك إلى "ماكسيكو" ومساعدتي أثناء مرض السيد "دوفان". أعرف أيضا- هنا لن أقول قدر الخدمة لأن ذلك سيضايقك- ما فعلته من أجلي، وكوني متأكدة أنني لن أنساه، لن أنساه أبدا.

انتظرت "آني" أن يكمل حديثه.

– على الرغم من ذلك أعرف أن شابة جميلة مثلك يجب أن يكون لديها الرغبة في أن يكون لها حياة خاصة.

أثارت هذه المقدمة حيرة "آني" فلم تجب.

– إذا أردت العودة بسرعة إلى "باريس" فإنني مستعد لعمل اللازم حتى تستطيعي الرحيل خلال الثماني والأربعين ساعة. بقيت "آني" في حيرة. ما المقصود بهذا الحديث؟ لماذا يتحدث عن رحيلي سريعا إلى "باريس"؟ أرادت أن تتضح لها الأمور. سألته:

– وأنت؟ ما رأيك؟

– أوه، أنا لا يجب أن أؤثر على قرارك.

– لا أعرف ماذا أقرر.

– ليس عليك سوى استشارة نفسك.

صمت قليلا قبل أن يستطرد.

– أو استشارة الشخص الذي سيرافقك.

– لكن عمن تتحدث؟

نظر إليها "فرانسوا" طويلا. بدا متألما لطرحها هذا السؤال.

– أنت تعرفينه جيدا.. بما أن الدكتور "كورديبه" سيسافر معك.

لم تستطع "آني" أن تصدق أذنيها: "فرانسوا" يحدثها عن "آلان" وعن عودة محتملة معه!

سألت نفسها: "ماذا حدث؟ لابد أن "آلان" قد تدخل. ماذا اختلق من أكاذيب؟".

قالت "آني":

– في الواقع، لقد جاء الدكتور "كورديبه" لزيارتي بالأمس وعرض عليّ، مما أصابني بدهشة، أن يعيدني إلى "باريس" على متن طائرة صحية. لقد رفضت رفضا قاطعا أن أعود إلى "باريس" معه.

– هل فكرت جيدا؟ إن الدكتور "كورديبه" يرى بدون شك أن إقامتك في "ماكسيكو" قد طالت.

شعرت بالتعب.

– بأي حق يسمح الدكتور "كورديبه" بالتدخل في طول أو قصر إقامتي في "ماكسيكو"؟ أو في أي شأن من شؤون حياتي؟ لست زوجته وليس لديه أي حق علي.

– هناك بعض الحقوق التي لا تكتب.

أصيبت "آني" بالدهشة للنبرة التي نطق بها "فرانسوا" هذه الكلمات.

– ليس لـ"آلان كورديبه" أي حق رسمي أو ضمني بالتدخل في حياتي. لقد أوضحت له ذلك بالأمس.

– ربما كان مجرد سوء تفاهم عادي وستنسينه بسرعة.

– لن أعاود رؤية "آلان كورديبه" أبدا، وهو لا يمثل شيئا بالنسبة لي.

– هل أنت متأكدة؟

– لكن لماذا تقول لي هذه الأشياء؟ لماذا تكلمني هكذا فجأة؟ اشرح لي ماذا حدث؟

بدت ضعيفة تماما في ثوبها الذي أصبح كبيرا على جسدها النحيل. بدا وجهها الذي أشحبه المرض أكثر رقة.

تصرفاتها، حركة رأسها، وإشارة يديها، كل شيء بها كان ينم عن رقة بالغة.

لم يستطع "فرانسوا" أن ينتزع بصره عنها. أدرك إلى أي حد كانت مضطربة.

قال:

– إني مدين لك بالشرح. هذا الصباح تلقيت زيارة الدكتور "كورديبه". أوضح لي أنه يستطيع أن ينقلك إلى الوطن في أفضل الظروف وفي طائرة صحية. قال إنه تحدث معك في هذا الشأن بالأمس، ولكنه لم يذكر أنك رفضت هذا العرض. قال إنه وجدك عصبية ومضطربة. وفي رأيه أن هذا نتيجة طبيعية للصدمة التي تلقيتها.

توقف "فرانسوا" قليلا كأنه يشعر بالضيق لأنه مضطر لاستكمال هذا الحديث. ثم استطرد:

– أراد الدكتور "كورديبه" أن يبدو كتوما، ولكنني عرفت أنكما تعرفان بعضكما منذ وقت طويل وأنكما لم تكونا غريبين... كلاكما للآخر.

شعرت "آني" بالاختناق. لقد ذهب "آلان" – إذن – إلى "فرانسوا" وسرد له القصة على طريقته الخاصة. لقد أفهمه أن "آني" عشيقته حتى ينصحها "فرانسوا" بنفسه بالرحيل. ربما تمنى "آلان" بعد تصريحاته لـ"فرانسوا" أن تنفصل عن "فرانسوا" نهائيا. إن "آلان" يفعل أي شيء ليصل إلى أهدافه. إنه رجل شيطان!

رفعت الفتاة رأسها ونظرت إلى "فرانسوا" في عينيه. قالت بصوت مهتز لشعورها بالإهانة:

– سأشرح لك كل شيء. نعم أعرف "آلان" منذ وقت طويل، قديما كنا خطيبين وأحدد لك: خطيبين– كانت هذه هي المرة الأولى التي أشعر فيها بالحب. كنت معجبة بـ"آلان" شاب براق له مستقبل كبير، كان يردد لي أنه يحبني. اعتقدت أنني ألمس السعادة بيدي. وقررنا الزواج.

توقفت "آني" قليلا لتأثرها ثم استطردت.

– لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن. كان "آلان" مساعد البروفيسور "بلانشيه". لقد لاحظ ذلك الأخير مهارات مساعده. أراد أن يرتبط به

بعلاقات أكثر قوة من مجرد مساعد بسيط.

استمع "فرانسوا" في اهتمام إلى الفتاة.

تغير "آلان" وادعى أنه مشغول، وأصبحت لقاءاتنا قليلة وشيئا فشيئا تخلى عني وأخفى علي الحقيقة التي عرفتها من الآخرين. في النهاية بعد تهربه مني عرفت أنه كان مبهورا بالمستقبل الذي ينتظره: هذا المستقبل هو أن يصبح صهرا للبروفيسور "بلاتشيه" صاحب جائزة "نوبل" المنتظر.

شعرت "آني" بألم شديد لاسترجاعها هذه الذكريات الحزينة.

– عندئذ قررت الانفصال عنه. كان طموح "آلان" أقوى من أي شيء. إذا كان قد أحبني حقا، ما واجه– ولو للحظة واحدة– احتمال الزواج بابنة البروفيسور "بلاتشيه". لم أرد أن يستمر في خداعي. كنت قادرة على التعلق به وإجباره على الزواج بي، وكان سيندم على ذلك ويلومني عليه طوال حياته، والأكثر خطورة هو أنني فقدت ثقتي به.

استطردت الفتاة:

تركت (معامل الأحماض) حيث كنت أعمل لأن هذا العمل كان يجعلنا نتقابل بشكل مستمر. أردت أن أقطع كل الجسور إلى الأبد.

لم ينبس "فرانسوا" بكلمة.

– مضى الوقت. لم أعد أرى "آلان" حتى صباح يوم الحفلة عندما خرجت لزيارة المتحف حيث قابلته. في نفس المساء تواجد بالمصادفة في الفندق، وتم استدعاؤه بصفته طبيبا لمعالجتي. وحتى الأمس كنت أعتقده قد رحل إلى "فرنسا" منذ وقت طويل. لقد ظهر في غرفتي بدون توقع. أراد أن يعيدني معه وعرض علي بعض الاقتراحات التي تسببت لي في إهانة عميقة. طلبت منه أن يخرج وأخبرته بأنني لا أريد أن أراه مرة أخرى في حياتي، وهأنت الآن عرفت كل شيء.

ساد صمت طويل لم يقطعه سوى زقزقة بعض الطيور ذات الألوان الزاهية التي كانت تقف على أحد الأغصان.

سألها "فرانسوا":

– لكن أمازلت تحبينه؟

تحدث دون أن يظهر أي تعبير.

قالت:

– أعتقد أنني لم أحبه قط، فقد كنت صغيرة جدا في ذلك الوقت.

ما اعتقدت أنه حب لم يكن سوى عاطفة عابرة لقلب ليس له تجارب. وعلى الرغم من ذلك شعرت بالألم بعد انفصالنا، ولكن أكسبتني هذه التجربة نضجا فكريا. في الوقت الذي تعرفت فيه إلى "آلان" لم أكن قادرة على المقارنة، ولكني أعرف الآن ما هو الحب الحقيقي؟

– ما هو الحب الحقيقي في رأيك؟

أغلقت "آني" عينيها غارقة في أفكارها. قالت بصوت منخفض:

– الحب... الحب الحقيقي هو ذلك الذي لا نقابله سوى مرة واحدة مرة فريدة في الحياة.

شيئا فشيئا تحمست الفتاة:

– في البداية يتخيل المرء أنه يستطيع مقاومته. ولكنه وهم. فالحب هو الأكثر قوة دائما. فهو يستخدم كل سحره ويعزف كل نغمات الفتنة ليفتنك. وعلى الفور يأسرك، عندئذ يصير قوة عارمة تدمر كل ما يقف في طريقها ويأخذك في دوامته التي لا تقاوم.

تحدثت "آني" بعاطفة واضحة.

– وكيف تعرفين أنه حب حقيقي؟

طرح "فرانسوا" هذا السؤال في صوت محايد. أجابت:

– هذا القلق اللذيذ الذي يشعر به المرء تجاه من يحب عندما يدق القلب بسرعة حتى تكاد تلهث كأنك فرغت توا من سباق عدو، فهذا هو الحب. إنه شعور أكثر عمقا وصخبا عما عرفته من قبل. إنه النهار والضوء، يفعل الإنسان أي شيء من أجل الحب، يمر بين ألسنة النار ولا يتردد في أن يلقي بنفسه في الخطر.

فجأة تبينت "آني" أنها تحدثت كثيرا. نظرت إلى "فرانسوا" الذي بدا كأنه قد تحول إلى تمثال من الحجر. شاحبا نظر إليها بعينين ثابتتين.

فكرت الفتاة: "يا إلهي! ماذا فعلت؟ لقد كشفت نفسي، لقد فهم أنني أحبه. لقد تحدثت أكثر مما يجب وانكشف سري".

تورد خداها من شدة الانفعال، كما تحولت عيناها إلى لون أكثر زرقة

ولمعانا كانها نجوم في السماء.

– وهذا الحب، هل قابلته؟

كانت تفضل لو لم تجب، ولكن تحت نظرات "فرانسوا" التي لم تتركها، ضعفت وازدردت ريقها قائلة:

– نعم، وأعرف أنني لن أحب أبدا رجلا آخر في العالم.

مسح "فرانسوا" بيده على رأسه كانه يريد أن يمحو بعض الصور التي طرأت على ذهنه.

سألها:

– "آني" ما فعلته من أجلي، لماذا فعلته؟ اي عاطفة أملت عليك هذا التصرف؟

ترددت الفتاة طويلا قبل أن تجيب. وأخيرا قالت:

– لأني شعرت بأنك مهدد بالخطر، ولأني لم أفكر، لأني أردت أن أنقذك، لأن...

وفي تنهد أضافت:

– لأني أحبك.

مرتبكة، أخفت وجهها بين يديها. بحركة هادئة وثابتة أمسك "فرانسوا" بيدي "آني" وأبعدهما عن وجهها.

– "آني"، "آني" يا طفلتي... إني أطلب منك العفو. من أجل كل شيء.

– لكن ليس هناك ما أسامحك عليه.

– أوه بلى! في البداية لأني عرضت حياتك للخطر من أجل مغامرة ليس لها أهمية.

– أنت أيضا قد أنقذت حياتي. هل تتذكر السيل. لم أنس ذلك قط، إنه محفور في قلبي.

– والأهم من كل شيء أرجو أن تسامحيني لأني شككت فيك منذ البداية.

– في أنا؟

– نعم. لقد خدعت في الحب بشكل مثير للألم. لقد غُرر بي وأصبحت

أشك في النساء. كنت أخشى أن أشعر بأي عاطفة تجاه سيدة تقودني إلى حيث لا أشاء.

لم تجرؤ "آني" على مقاطعته.

– في "كورنافاكا" عندما بحثت عنك في العاصفة عرفت قدرك بالنسبة لي. لم يكن شعورا سطحيا لقد كان لهذا الشعور جذور في داخلي. لكني قاومته وجاهدت ضده.

أصبح صوت "فرانسوا" أكثر حماسا. كان واضحا به قوة عاطفته التي طالما احتفظ بها في داخله.

– أعتقد أنني أحببتك منذ أول يوم شاهدتك. نعم بمجرد أن رأيتك في مكتبة شارع "فارين" في "باريس". حتى كانت صورتك تتردد على ذهني وشعرت بالخطر. إنك تذكرينني بـ"سابين"، على الرغم من وجود شيء مختلف بك، شيء لم تكن تمتلكه وقرأته في عينيك. إن وجهيكما متشابهان تماما وروحيكما مختلفتان. لم أرد أن أتألم مرة أخرى بسبب امرأة.

– أنا أيضا خدعت. أنا أيضا تألمت من الخيانة. لكن الآن قد مات الماضي وأنا سعيدة لأني تحررت من هذا الرجل الذي كنت أعتقد أنه جدير بحبي وهو لم يكن كذلك.

استطرد "فرانسوا":

– لم أعد مؤمنا بشيء. لم أعد مؤمنا بانني سأقابل المرأة التي حلمت بها دائما. تلك التي ستجمع كل الصفات التي أبحث عنها ولقد جئت بسحرك ورقتك وشبابك... وإخلاصك خاصة. كنت أخشى هذا الحب وكنت أدعوه من كل قلبي، والآن وقد أصبح هنا أريد الهروب منه.

استمعت "آني" مليا إلى "فرانسوا" وشعرت بأنها تعيش حلما.

استطرد:

– تلك الليلة الحزينة التي وقع فيها الحادث خلال تلك اللحظات الطويلة التي قضيتها بالقرب منك وأنت ممددة فاقدة الوعي.

رأيت دماءك تتدفق من جرحك. عرفت أن حياتك هي التي تتدفق، حياتك التي خاطرت بها من أجلي بسبب علاقة بائسة، علاقة عابرة مع

امراة أحتقرها. عزيزتي هل ستسامحينني؟

– لا تتحدث عن ذلك مرة أخرى. لقد نسيت ذلك. أنا هنا بجانبك ومازلت على قيد الحياة.

قال "فرانسوا":

– ونحن متحابان.

ساعد "آني" على أن تنهض. وقفت أمامه ورأسها منحن قليلا. برفق رفع ذقنها. رأى ضوء عينيها ورعشة شفتيها. مال نحوها وقبل شفتيها في حب.

الفصل السابع عشر

كانت سلة الورد كبيرة جدا حتى إنهم وجدوا صعوبة في إدخالها حجرة "آني". كان لابد من مساعدة العاملتين لتمريرها من الباب بدون أن تقطع سيقان الورد. خمس دستات من الورد الأحمر في سلة مضفرة بشكل جميل.

كتبت كلمة رقيقة على بطاقة معلقة بالورد. تعرفت "آني" على خط "فرانسوا" الواضح. أخذت الظرف وأخرجت البطاقة.

"عزيزتي...

ليكن هذا الورد رسول أفكاري ويخبرك كم أنا مشتاق لرؤيتك. بعد الظهر".

لك كل حناني

"فرانسوا"

قرأت الفتاة البطاقة مرة وأخرى، وأخذت تعيد قراءتها، هذه الأسطر القليلة عبرت لها عن المشاعر التي يكنها لها "فرانسوا".

كانت تنتظره بفارغ الصبر. سألت الممرضة عدة مرات عن الساعة. كل خمس دقائق تنظر إلى ساعتها فتجد لدهشتها أن العقارب لا تتقدم.

ابتسمت الممرضة ابتسامة ذات معنى. على الرغم من انشغالها بعملها كانت ذات مشاعر رقيقة، وتحلم مثل أي فتاة. لم يكن لديها الفرصة قط لتعيش قصة عاطفية، كما كانت تتمنى، فكانت تعيش قصص حب الآخرين.

في هذه اللحظات كانت تشعر بأنها شاهد على قصة حب. منعها واجبها الوظيفي من التدخل في حياة مرضاها الخاصة، لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تفكر في سبب إرسال هذا الورد. ملأت سلة الورد جزءا من الحجرة. وانبعث منها رائحة عطرة قالت الممرضة:

– يا له من ورد رائع يبدو أنك مدللة.

أجابتها "آني" مشرقة:

– أليس جميلا حقا؟

www.elromancia.com

قالت الممرضة:

– يبدو أن من أرسل إليك هذا الورد شخص له ذوق رفيع، والأكثر أنه يريد إرضاءك.

– أعتقد ذلك.

– يجب أن تتجملي. ثوبك مجعد قليلا سابعثه إلى المكوجي أرى أن لديك ثوبا ورديا رائعا في الدولاب. يجب أن ترتديه بعد الظهر.

كانت "آني" تشعر بالخجل. لم ترد أن تستسلم بالإفضاء عن مشاعرها. قالت:

– لست متأكدة أنني ساستقبل زيارة بعد الظهر.

ضحكت الممرضة من قلبها فتورد خداها الممتلئان.

– وأنا ساكون في غاية الدهشة ما لم تتلقي الزيارة.

واستطردت:

– أنت محظوظة فهو شخص ممتاز.

– إلى من تشيرين؟

– حسنا... إلى السيد الطويل الأسمر المحترم الذي يأتي كل يوم. إنه رجل وسيم حقا. ونظرته! إن أول ما الاحظ في الرجال هو عيونهم. إن عينيه مفعمتان بالإحساس.

وهما يثرثران كانت الممرضة تعد الحقنة التي تعطيها لـ"آني" كل صباح.

– لقد كان مشغولا جدا عليك ليلة إجرائك العملية الجراحية. عندما أعادوك إلى غرفتك. قابلته في الردهة. جاء كانه مجنون. خلال عملي لم أر شخصا في هذا القلق. من الوهلة الأولى اعتقدت انه زوجك أو خطيبك.

أعطتها الممرضة الحقنة. كانت يدها خفيفة جدا حتى إن "آني" لم تشعر باي ألم.

استطردت:

– في الأيام الأولى عندما كنت تهذين. لو استطعت أن تريه! كان هنا لساعات طويلة بجانبك. لم يتركك قط. كنا نضطر لطرده لنجبره على أن يذهب ليأخذ قسطا من الراحة. إذا كنا نتركه لقضى الليل والنهار بالقرب

من سريرك. لا تستطيعين أن تتخيلي سعادته وارتياحه عندما أعلن الطبيب أن الحمى قد زالت عنك وأنك بعيدة عن الخطر... رأيت الدموع تلمع في عينيه.

جمعت الممرضة أدواتها الطبية.

– على أية حال تبدين في حالة طيبة هذا الصباح. ساتركك. استعدي ولكن لا تجهدي نفسك.

دخلت "آني" الحمام الملحق بغرفتها.

نعمت باخذ الحمام وجففت نفسها بعناية ثم وضعت ماء الكولونيا الذي أهداه لها "فرانسوا" كم هو جميل أن يشعر الإنسان بالانتعاش. هذه الغيطة كانت برهانا على عودتها إلى الحياة.

عندما انتهت من زينتها كانت الساعة الحادية عشرة. متى سيأتي "فرانسوا"؟ الساعة الثانية. أو الثانية والنصف. هذا ما لم يقابله عائق أو أي شيء يؤخره.

قام الدكتور "چواريز" بزيارته اليومية. كان يبدو سعيدا أن يجد مريضته في هذا المظهر الجيد. وعلى الرغم من ذلك نصحها بالا تتحرك كثيرا.

قال:

– هيا، أنت الآن على طريق التماثل للشفاء التام. أرى أنك قد تغادرين المستشفى الأسبوع القادم.

في ساعة الغداء، نهرت الممرضة "آني" لانها لم تاكل بالقدر الكافي. كانت "آني" قلقة بسبب موعد "فرانسوا" مما أفقدها شهيتها. بعد فترة القيلولة ذهبت "آني" إلى الحمام ونظرت إلى نفسها في المرآة. لقد استعاد وجهها لونه المشرق، وعيناها لامعتان من السعادة.

فكرت لا يوجد اي شك في أن السعادة هي أفضل منتج تجميل يستطيع أن يتناسب مع أي امرأة.

شرعت "آني" تصفف شعرها الذهبي في عناية. سعيدة بأن تتجمل من أجل الرجل الذي تحبه! فكرت الفتاة في أن لديها الآن هذه المهمة اللذيذة التي تقوم بها لإسعاد "فرانسوا".

ارتدت الآن رداءها الوردي وجاءت الممرضة لتساعدها على النزول إلى

الحديقة.

وقالت في إعجاب:

– أنت مشرقة للغاية، تصلحين إعلانا جيدا لعيادة الدكتور "جواريز".

ابتسمت "آني"... لقد كانت سعيدة.

لقد وصل، إنه هنا بالقرب منها! لا شيء غير ذلك يهمها، لم تعد "آني" ترى سواه.

وقفت الممرضة البدينة تضع الوسائد خلف ظهر "آني" و"فرانسوا" يجذب مقعدا، وجلس. أمسك– بين يديه– بيدي الفتاة ورفعهما في رفق إلى شفتيه وقبلهما.

ابتعدت الممرضة.

همست "آني":

– "فرانسوا": أنا سعيدة بلقائك! بدت لي ساعات انتظارك لا تنتهي. كما أني أشكرك على الورد الرائع الذي أرسلته إلي. لقد حولت غرفتي إلى حديقة عطرة.

– إنها تعبير عن حبي الذي أشعر به تجاهك.

سعد "فرانسوا" كثيرا عندما عرف أن "آني" سيمكنها مغادرة العيادة الأسبوع القادم.

قال:

– سأتحدث في هذا الشأن مع الدكتور "جواريز" وسنقرر اليوم الذي ستخرجين فيه. يجب التفكير منذ الآن في فترة نقاهتك واختيار المكان المناسب لإقامتك.

اعترضت "آني":

– لكني لا أريد أن أغادر "ماكسيكو". لا أريد أن أتركك.

– لا تقلقي يا عزيزتي. لن نفترق. إني أفكر في هذه القرية "كوكو يوك" التي كانت مجدية جدا بالنسبة لحالة السيد "دوفان" إنه يقيم هناك في منزل ريفي تحول إلى فندق، معه لن تكوني بمفردك. سأتصل بك كل يوم. بما أن هذه القرية قريبة من "ماكسيكو" سآتي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معك.

حاول بذلك أن يواسي "آني" ويجعلها تبتسم.

– سترين أن المكان رائع. في هذه القرية أشجار الفاكهة مزهرة هناك مصادر للخضرة في كل مكان. إن الهنود القدماء قد جعلوا منها أماكن للاستشفاء.

استطرد:

– لم أرد أن أرحل قبل شفائك تماما، ولكنني مضطر للسفر إلى "باريس". لدي أعمال مهمة معلقة. ناشري يستدعيني بإلحاح.

– كم من الوقت ستتغيب؟

– أقل وقت ممكن، بمجرد أن أنتهي من المسائل المهمة سأسرع بالمجيء إلى "ماكسيكو" كيف ساستطيع البقاء وقتا طويلا بعيدا عنك؟

مضى الوقت في تبادل الكلمات الرقيقة. عندما جاءت الممرضة لتعلن مجيء الوقت الذي يجب أن تعود فيه الفتاة إلى حجرتها. أصيب "فرانسوا" و"آني" بالدهشة. لقد حواهما حبهما فلم يشعرا بمضي الساعات. افترقا على الوعد باللقاء في اليوم التالي.

وفي كل يوم انتظرت "آني" بفارغ الصبر حضور "فرانسوا". في كل يوم شعرت بنفس العاطفة ونفس الفرحة عندما ترى "فرانسوا" يتقدم نحوها ويأخذها بين ذراعيه.

باستثناء ذلك اليوم الذي لم يأت فيه "فرانسوا". لقد كان مدعوا ليلقي محاضرة في جامعة "ماكسيكو"، وذلك في فترة ما بعد الظهر، تليها مناقشة مفتوحة مع الطلبة، وسيختتم اليوم بحفل عشاء.

كانت "آني" تعرف أن كاتبا مشهورا مثل "فرانسوا مونسو" لا يستطيع أن يتهرب من مثل هذه الالتزامات التي تعتبر مقترنة بعمله.

في الصباح اتصل بها وتحدثا طويلا في التليفون. الآن تشعر "آني" بالضيق إذ سقطت أمطار خفيفة منعتها من التنزه في الحديقة.

كانت تتصفح مجلة عندما جاءت الممرضة لتخبرها بأن هناك زيارة من أجلها.

سألت "آني" في دهشة:

– من؟

– السيد "راميرز".

ترددت "آني" ثواني. وانتهت بان قالت:

– أدخليه.

كانت دهشة للغاية لهذه الزيارة غير المتوقعة. من ليلة الحادث لم تسمع أحدا يتحدث عن السيد "راميرز". لماذا يأتي لمقابلتها اليوم خاصة؟ هل ذلك لانه يعرف أن "فرانسوا" سيقضي اليوم في جامعة "ماكسيكو"، وبذلك يكون متأكدا أنه لن يقابله؟

أدخلت الممرضة السيد "راميرز" وانسحبت. صافح القادم الجديد "آني" في احترام، وسألها عن أخبارها الصحية. دعته الفتاة للجلوس وأخبرته بتحسن حالتها.

بدا لـ"آني" أن السيد "راميرز" شخصية غير مريحة. عيناه الصغيرتان الماكرتان الغائرتان تحت حاجبيه الكثيفين لهما بريق قاس.

فكرت الفتاة "يبدو دمويا، ليس فقط من مظهره، ولكن من عصبيته ووحشيته؟

بعد تبادل بعض الكلمات المعتادة ساد الصمت. يبدو أن السيد "راميرز" مشغول بفكرة ما. بدون شك يشعر بالخجل بسبب مسؤوليته عن الحادث الذي كادت تدفع الفتاة حياتها ثمنا له، بدون شك، قد جاء اليوم لهذا الشان، وإلا فلماذا جاء إذن؟

لتقطع الصمت أخبرته "آني" بانها ستخرج من المستشفى قريبا، وبعد ذلك ستذهب لقضاء فترة النقاهة.

نظر إليها السيد "راميرز" قائلا:

– بالنسبة لإقامتك ونقاهتك فسأتحدث في ذلك مع السيد "مونسو" لكني لم آت من أجل هذه التفاصيل المادية، إني أرغب في الحديث معك. على أية حال لا أريد أن أحيي هذه الذكرى التعسة للحادث الذي تعرضت له، ولكني أريد أن أطرح عليك بعض الاسئلة بخصوص... هذا الحادث.

– أية أسئلة؟

– أنا مستعد أن اقتنع بأنك كنت على موعد مع السيد "مونسو" في الكوخ القريب من حمام السباحة في هذا المساء، لكني لا أجد تفسيرا لماذا

زوجتي التي كانت ترقص مع السيد "مونسو" غادرت النادي الليلي فجاة، ولماذا تبعته؟

لم يترك السيد "راميرز" "آني" بعينيه.

– أنت على عكس زوجتي، لم ترقصي سوى مرة واحدة مع "فرانسوا مونسو"، وعندما خرج الاثنان كنت في حلبة الرقص. أنت لم تلاحظي إذن مغادرتهما الحفل؟

فكرت "آني": "هذا الرجل غيور للغاية. لقد كان يراقب زوجته و"فرانسوا"، وكان يخطط لضربته منذ وقت طويل".

تهربت الفتاة من سؤاله:

– في الواقع لقد رقص "فرانسوا" وزوجتك طويلا معا، لكن السيدة "راميرز" ترقص بشكل جيد جدا، وأمر طبيعي أن يبحث عنها مجيدو الرقص.

– لا داعي للف والدوران. أنت تفهمين جيدا ماذا أقصد ألا تغارين؟

بقيت "آني" حائرة.

– "فرانسوا مونسو" يرقص مع من يرغب.

– وعلى الرغم من ذلك ذهبت لتقابليه في الكوخ؟

لم تجب "آني"؛ إن الحديث يأخذ منعطفا تجده خطيرا. من الواضح أن السيد "راميرز" لم يشف من أحقاده.

استطرد المكسيكي مبتسما إلى "آني".

– لم آت إلى هنا تطفلا، ولكني جئت لأقدم اعتذاري.

أشارت إليه "آني" ليتوقف، ولكنه تابع الحديث.

– لا.. أرجوك، دعيني أتحدث. أعرف أن كلمة الاعتذار ضعيفة ولكن لو تعرفين مدى أسفي لأني جرحتك ستصدقين صدق اعتذاري وندمي، وكذلك لكي تسامحيني سمحت لنفسي أن أحمل إليك هذه الهدية الصغيرة التي ستساعدك، أتمنى ذلك، على أن تنسي الذكرى السيئة التي اعترضت إقامتك في "المكسيك".

أخذ حقيبته الجلدية التي وضعها إلى جانب مقعده وأخرج منها علبة قطيفة حمراء طويلة وقدمها إلى "آني".

– إنها لك.

فتحت الفتاة العلبة. لم تستطع أن تمنع نفسها من الصياح من شدة التعجب. في قالب من القطيفة السوداء لمع عقد جميل لم تر مثله قط. شريط يتلألأ مكون من تشابك لأحجار كريمة الواحدة مقطعة بشكل مستدير والأخرى بشكل مستطيل ترصع دانتيلا من البلاتين.

إنها قطعة حلي غالية الثمن والقيمة، إنها تصلح لملكة.

بقيت "آني" حائرة وهي تنظر إلى السيد "راميرز" الذي ردد:

– إنها لك.

– لكن بأي صفة؟

– لكي تسامحيني.

أقفلت "آني" العلبة وردتها إليه.

– أرجو المعذرة... من المستحيل أن أقبل هدية بهذه القيمة. لا أعرف في المجوهرات، ولكن أستطيع أن أتخيل بسهولة أنها قطعة مجوهرات عالية القيمة جدا.

أجاب "راميرز" في هدوء:

– إنها كذلك... إنها أحجار كريمة نقية تماما.

– سبب أكبر يجعلني أرفضها.

– لماذا ترفضين؟

– لأنها هدية غالية جدا. فلماذا تهديها إليّ؟

– لمن تريدينني أن أهديها ما لم تكن لك؟

– ولماذا لا تهديها لزوجتك؟ لقد شككت فيها ظلما، وها هي فرصة رائعة لكي تصالحها. وسيكون أكثر جمالا على السيدة "راميرز".

مال السيد "راميرز" نحو "آني" ونظر إليها شذرا:

– من قال لك أني أريد الصلح؟

– لكن...

– من قال لك إنني شككت فيها ظلما؟

قالت "آني":

– أنا لا أفهم.

زاد قلقها أمام سلوك "راميرز".

استطرد السيد "راميرز".

– لماذا أقدم هدية بهذه القيمة لسيدة تسخر مني؟ أفضل أن أهدي هذا العقد للتي دفعت ثمن عمل ليس لها فيه ناقة ولا جمل.

خذيه، الشيء الوحيد الذي أطلبه منك هو أن تقولي لي ما الذي حدث بالضبط؟ احكي لي كل شيء.

فكرت "آني": "لقد كنت متأكدة من ذلك ما هذا العقد إلا طعم".

– ليس لدي شيء أحكيه.

– من الواضح أنك تحبين التضحية. هل تعرفين ماذا ترفضين؟ هذا العقد ثروة. ومن أجل أي سبب ترفضين؟ ليس من أجل إنقاذ زوجتي بالطبع. لا... لكن حبا للجميل "فرانسوا مونسو".

أضاف في ثورة:

– كل النساء تحبينه.

– سيد "راميرز"، أنت تدخل حدود الحياة الخاصة...

– لكن ماذا فعلت أنت؟ ماذا فعلت؟ ألا تدعين أنك خاطرت بحياتك فقط لأنه مديرك؟

– سيد "راميرز".

– ولم كل هذا؟ فقط لأنه جميل وجذاب! له وجه وجسد الرجل الذي يعجب النساء!

اندفع في حديثه وبدا أن لا شيء سيوقفه.

– لقد تزوجت زوجتي عن حب. كنت فخورا بها، كنت أعرف أنها تزوجتني من أجل المصلحة، لكني كنت مقتنعا أنها ستحبني ذات يوم مع الصبر، لكنها لا تحبني ولن تحبني أبدا. إنها مخبولة، يطير رأسها مع أول شاب وسيم يمر بجانبها. لقد انتهى كل شيء، ولن أدعها تجعل مني أضحوكة أكثر من ذلك. بسببها كدت أتحول إلى قاتل. الآن أريد طلاقها، ولكن تلزمني الأسباب.

توقف "راميرز" لحظة طويلة. فتح علبة العقد الثمين ومدها إلى "آني".

استطرد بصوت أكثر هدوءا:

– ستقولين لي الحقيقة وسأقدم لك العقد؛ وبذلك يسعد كلانا.

– سيد "راميرز" لقد قلت لك إنني لا أستطيع قبول العقد ولن تغير رأيي. وليس لدي شيء آخر لأضيفه.

في هذه اللحظة فتح الباب ودخلت الممرضة.

– لقد مكثت طويلا يا سيدي وذلك يجهد المريضة. الآن انتهت الزيارة.

وضع "راميرز" العقد في حقيبته ونهض، واستأذن من "آني" متمتما ببعض عبارات التحية، ولكن كل قسماته تنم عن ثورته وغضبه.

هبط الليل مبكرا عن المعتاد ولم تكف الأمطار في الحديقة. انحنى الورد الذي أثقله ماء المطر.

كانت "آني" لا تزال تحت تأثير الزيارة المؤلمة التي قام بها السيد "راميرز".

قالت في نفسها: ""فرانسوا"! "فرانسوا" كم أوحشتني، كم أود أن أكون بالقرب منك. أنت حمايتي ضد كل مساوئ العالم والحياة".

الفصل الثامن عشر

بدت الممرضة متأثرة تماما لحظة الوداع. قدمت لـ"آني" علبة صغيرة مغلفة بورق ملون.

– تفضلي هذه، ويسعدني أن أقدمها لك.

سألت "آني" في حيرة، وهي تزيح عن العلبة غلافها:

– ما هذا؟

كان رسما، نفذه هاو، ملصقا على قطعة كارتون. هذا الرسم يمثل عصفورا كبيرا له ريش طويل ملون، ويغلب عليه اللون الوردي.

قالت "آني":

– إنها لوحة رائعة.

وقبلت الممرضة شاكرة لها. وسألتها:

– ما هذا العصفور؟

أجابت الممرضة:

– اسمه "كويتزال"، إنه عصفور الجنة، ويطير بسرعة فائقة. إنه جميل جدا حتى إنهم أطلقوا اسمه في الحضارة القديمة على أحد الآلهة: إله "كويتزالكواتل"، الثعبان ذو الريش.

خفضت صوتها وأضافت:

– ريش هذا الإله رمز العظمة والثراء والقدرة السحرية. لا تجعلي هذه الصورة تبتعد عنك. إنها تجلب الحظ. لقد طلبت تنفيذها من أجلك خصيصا.

وعدتها "آني":

– سأحتفظ بها دائما.

نظرت إلى اللوحة بإعجاب وأضافت:

– هذا اللون الوردي المبهج شائع في "باريس" منذ بضع سنوات يطلق عليه الوردي الهندي.

قالت الممرضة.

– إنه الوردي المكسيكي. تجدينه في كل صورة، وفي كل رسم في

www.elromancia.com

"المكسيك". إنه أحد ألوان البلد.

جاء "فرانسوا" لياخذ الفتاة. لقد حانت ساعة الرحيل. رافقت الممرضة "آني" و"فرانسوا" حتى السيارة وساعدت الفتاة على الجلوس في المقعد المجاور للقائد.

لقد ارتبطت الممرضة بهذه المريضة التي ساعدتها بعنايتها لتكافح حتى تسترد صحتها... تلك المريضة البشة اللطيفة دائما مع الجميع. في النهاية يجب أن يرحل المرضى عندما يشفون وها هي مريضتها ترحل إلى السعادة برفقة رجل شديد الجاذبية.

فكرت الممرضة: "كل شيء جميل ينتهي نهاية سعيدة".

ارتدت "آني" واحدا من الملابس التي استعارتها من "ماري لو"... رداء من قطعتين لونه أزرق فاتح.

نظرت "آني" إلى مرآة السيارة التي أمامها. وشعرت بالرضا. لكن الأفضل من المرآة كانت عينا "فرانسوا" لقد اكتشفت كم هما جميلتان.

تبادلت كلمات الوداع الأخيرة مع الحارس وعاملة الغرفة ثم انطلقت السيارة.

التفت "فرانسوا" نحو "آني" وابتسم قائلا:

– إلى طريق "كوكو يوك".

مضت الرحلة دون ازدحام في الطريق ووصلا في وقت الغداء. استقبلهما السيد "دوفان" في سعادة. لقد تماثل للشفاء من أزمته القلبية، وعبر عن سعادته بمجيء "آني".

كان البيت الريفي الذي يرجع إلى القرن السابع عشر الذي تحول إلى فندق، منزل "ماركيز" وادي "أواكساكا" أعجبت "آني" بالأبعاد الفخمة للصالونات، وحجرة الطعام. التي يتناسب أثاثها مع فخامة المكان.

بعد الغداء، قام "فرانسوا" و"آني" بنزهة. كان "فرانسوا" مضطرا للعودة إلى "ماكسيكو" في نفس المساء. لم يستطع أن يتاخر.

وعد "آني" قائلا:

– سأتصل بك صباح غد، وسآتي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معك. بضعة أيام من الصبر وستكونين في أتم صحة بعد ذلك. وستتلاشى

الذكريات السيئة. وحتى جرحك سيختفي، لقد وعدني الدكتور "جواريز" بذلك. وإذا بقيت علامة صغيرة نستطيع إخفاءها بإجراء عملية تجميل بسيطة، بذلك ستبقين جميلة كما كنت تلك الليلة في فستانك الذي يكشف كتفيك.

دخلت "آني" غرفتها مبكرا هذا اليوم وكتبت خطابا طويلا لـ"ماميتا" روت لها كل ما حدث غير غافلة أي تفاصيل، واعترفت لها بحبها لـ"فرانسوا"، وحب "فرانسوا" لها، وكانت الفتاة سعيدة بان تشرك "ماميتا" سعادتها، وهي صديقتها في الأيام الحلوة والعصيبة، وبدون أي تحفظ عبرت عن سر قلبها.

مضى الوقت وهي تكتب حتى نامت متاخرا في منتصف الليل.

مضت الأيام هادئة ومتشابهة. كانت "آني" تستيقظ في وقت متاخر، وبعد الظهر تذهب في نزهة مع السيد "دوفان" الذي وجدت فيه رفيقا ساحرا وذا حديث شائق.

كانت الحياة في هذا الفندق جميلة جدا، والحديقة جنة حقيقية، حيث تمتزج فيها التنمية السياحية والحفاظ على الطبيعة.

على الرغم من ذلك بدأت "آني" تشعر بالسأم. كانت تمضي وقتها في ترقب التليفون آملة أن يتصل بها "فرانسوا" أو حتى يزورها. إنها تشعر بالضيق بعيدا عنه.

لم يات "فرانسوا" إلى "كوكو وك" أسبوعين متتاليين، لقد استدعي على الفور إلى "باريس". فرحل وهو متاكد أن غيابه سيكون لفترة قصيرة. ولكن طرأت بعض الأحداث التي مدت إقامته. بدت الأيام لـ"آني" دهرا.

الآن وقد استعادت قوتها أصبحت لا تحتمل الإيقاع الرتيب للحياة في هذه القرية.

كانت عطلة نهاية الأسبوع الثانية بدون "فرانسوا" غير محتملة. مساء الأحد كان هناك حفل بالفندق لم تحضره "آني". بعد العشاء صعدت إلى غرفتها واستندت إلى نافذتها حيث وصلت إليها أصوات الفرقة الموسيقية وخطوات الراقصين وضحكاتهم. انبعث من الحديقة رائحة الورد العطرة. كما لاحظت "آني" خروج بعض المحبين إلى الحديقة لينعموا بالهواء

المنعش.

كانت "آني" تشعر بالحزن. كانت تشعر بأنها تحضر حفلا، وهي غير مرغوب فيها.

فجأة واتتها فكرة. لماذا لا تعود إلى "ماكسيكو" لتكون مفاجأة لـ"فرانسوا"؟ بما أنها قد شفيت تماما. لماذا تمد فترة نقاهتها التي أصبحت غير محتملة؟ عندما يعود "فرانسوا" من "باريس" سيجدها هناك. كم سيكون اللقاء فرحا بالنسبة لكليهما! كلما فكرت الفتاة اقتنعت بأن فكرتها ممتازة. كانت خطتها سهلة التنفيذ. ستطلب إحدى سيارات الفندق تقودها إلى فندق "ماريا" شيراتون. وهناك لن يكون عليها سوى انتظار "فرانسوا".

في صباح اليوم التالي نهضت "آني" مبكرة. كانت تروح وتجيء في حجرتها في رشاقة تغني وهي تجهز حقيبتها. ثم سوت حساب الفندق وذهبت لتخبر السيد "دوفان" برحيلها.

كان السيد "دوفان" ذا فكر منطقي، ولا يحب القرارات التي تؤخذ في عجالة. فوجئ بهذا الرحيل المبكر الذي لا مبرر له ونصح الفتاة بأن تنتظر في "كوكو بوك" عودة "فرانسوا مونسو" التي لا أحد يعرف تاريخها. لماذا هذه العجالة؟ ماذا ستفعل بمفردها في "ماكسيكو"؟

كان السيد "دوفان" يفكر بعقل رجل ناضج ويزن الجهات السلبية والإيجابية للأمور. أما "آني" فكانت تتصرف كفتاة مأخوذة بالحب لا تصبر على بعد حبيبها.

لم تغير نصائح السيد "دوفان" رأي "آني". رحلت إلى "ماكسيكو" تاركة السيد "دوفان" وهو غير موافق على هذا التصرف.

عندما وصلت "آني" كان يسود فندق "ماريا إيزابيل شيراتون" حركة كبيرة.

في الاستقبال طلبت أن ينقلوا حقيبتها إلى غرفتها القديمة التي عند سماع هذا الاسم بادرها أحدهم قائلا:

– السيد "مونسو"؟ إنه في حجرة الموسيقى.

في سعادة أسرعت "آني" إلى هناك. هكذا لقد عاد "فرانسوا" من

"باريس"! لقد كانت محقة عندما تبعت إلهامها بالعودة مبكرة: خلال لحظات سيجتمعان.

وصلت أمام باب صالون الموسيقى طرقت "آني" الباب. لم يجب أحد. هذا غريب. كانت ستنسحب لكنها سمعت صوت حركة في الداخل. هناك شخص ما. أدارت الفتاة المفتاح وفتحت الباب ودخلت مبتسمة متوقعة أن ترى "فرانسوا".

تسمرت الابتسامة على شفتيها.

كانت بالحجرة امرأة. تقف أمام الفيشارة. نظرت إلى "آني" بعينيها السوداوين.

لقد عرفتها "آني". إنها "ماريزا".

كانت دهشة "آني" كبيرة حتى إنها لم تستطع أن تنبس بكلمة. بدت "ماريزا" أيضا دهشة. من الواضح أنها لم تكن تنتظر "آني". تبادلت السيدتان النظرات.

لم تعرف لماذا أشاروا إلى هذا الصالون عندما ذكرت اسم "فرانسوا مونسو". اتخذت مبادرة الحديث.

– أرجو المعذرة، لقد أخطأت.

سألت "ماريزا":

– ألست أنا من تبحثين عنه؟

– لا.

– اعتقدت أنك جئت لتخبريني بمجيء الصحفيين.

– آسفة. الصحفيين؟

– نعم إني أنتظرهم.

شعرت "آني" من نبرة صوت "ماريزا" بأن هناك تهديدا لا تعرف ماهيته.

سألتها "ماريزا":

– ربما تبحثين عن شخص آخر.

– لم أكن أبحث عنك.

– لم يخبرك أحد إذن بأنني في "ماكسيكو"؟

قالت "آني" بنبرة حادة:

– يجب أن أعترف لك يا سيدتي بانني لا أرى ما الفائدة التي قد يدرها علي مجيئك.

– حقا؟ ألم يشرق وجهك بالفرحة عندما رأيتني؟

– لقد أصابتني الدهشة.

– الدهشة والحزن أيضا.

– أرجو المعذرة ليس لدي وقت.

– حتى لو حدثتك عن "فرانسوا مونسو"؟

كانت "آني" قد همت بالخروج. لكنها توقفت عند هذا السؤال.

– لا أعتقد أنني أريد مناقشة هذا الموضوع معك.

– هل تعتقدين ذلك؟

– إني متأكدة من ذلك.

– أما أنا فلا. لنتحدث.

– ليس لدي شيء أقوله لك.

– أنا لدي ما أقوله. هل تصورت ما قد يكون قد حدث. إنك مخطئة إذا تصورت أن مغامرة حب عابرة وقت الإجازة قد تتحول إلى شعور دائم. لقد كان هناك اختلاف العادات، السماء الزرقاء، الشمس الاستوائية.

كل كلمات "ماريزا" كانت تهدف إلى شيء واحد هو إيذاء "آني". أرادت "آني" أن تفر، ولكن شيئا أقوى من رغبتها قد أبقاها في مكانها.

استطردت "ماريزا":

– لقد أبقاني في "باريس" حادث ألم بوالدتي، لكني أعرف كل ما حدث، أحد أولاد عمي يعمل دبلوماسيا في سفارة "إيطاليا" قد أخبرني بكل شيء. الدبلوماسيون هم أكثر الشخصيات فضولا وأكثرهم ثرثرة في العالم. لقد خاطرت بكل شيء: الحب الكبير التضحية واعتقدت أنك قد ربحت.

اقتربت من "آني" ورمقتها بنظرة مفعمة بالكراهية جعلت الفتاة ترتعش.

– كنت دائما متشككة في مظهرك المسالم هذا. لكني لست أنوي الهروب من المباراة.

قاطعتها "آني" وواجهتها قائلة:

– باي حق تتدخلين في حياتي الخاصة وحياة "فرانسوا"؟

ارتسمت على شفتي "ماريزا" ابتسامة لا تعرف الشفقة.

– إنه حقي. لقد رأيت "فرانسوا" في "باريس". إنه يتبعني وسياتي غدا إلى "ماكسيكو". لقد خطبني.

شعرت "آني" بانها ستفقد وعيها عندما سمعت بهذه الخيانة البشعة.

صاحت:

– هذا غير صحيح... هذا غير صحيح، "فرانسوا" لا يمكن أن يفعل ذلك. إنه يحبني، لقد قال لي ذلك.

– أنت شابة وجميلة و"فرانسوا" يعشق مغازلة النساء. ولقد أنقذته من موقف خطير، ولقد تأثر بذلك، ولكن العرفان بالجميل لا يعني الحب.

شعرت "آني" بان ساقيها لا تحملانها فاستندت إلى ظهر المقعد.

همست:

– هذا مستحيل. إني أثق بـ"فرانسوا"، إني أنتظره.

سألتها "ماريزا":

– ألا تقرئين إذن الجرائد؟

توجهت "ماريزا" نحو طاولة صغيرة وضع عليها بعض الصحف الفرنسية اليومية. أخذت عدة صحف وطوتها وحملتها وعادت بها إلى "آني".

كان في أغلبها كعنوان رئيسي خبر مكتوب بالخط العريض: "أعلنت خطبة الكاتب المشهور "فرانسوا مونسو" على "ماريزا روسسي"؟

كما كان هناك صورة تصاحب الخبر: "فرانسوا" في ملابس رياضية ينظر إلى "ماريزا" ضاحكا، وهي ترتدي فستانا مطبوعا بالورد.

– هل فهمت الآن لماذا أنتظر صحفيي "ماكسيكو"؟ سيجرون معي بعض الأحاديث. لهذا السبب وضعت إدارة الفندق صالون الموسيقى تحت تصرفي.

مرت سحابة سوداء أمام عيني "آني". دق قلبها بسرعة، وشعرت بانها ستفقد وعيها، ولكنها تماسكت. لم ترد أن تتيح الفرصة لغريمتها بأن تسعد وهي تراها تنهار.

دون أن تنبس بكلمة توجهت نحو الباب وخرجت. عبرت البهو في

خطى آلية.

فكرت: "كل هذا غير حقيقي. إني أعيش كابوسا، كابوسا فظيعا، ساستيقظ منه. "فرانسوا" خطيب هذه السيدة!

صعدت إلى غرفتها القديمة فوجدتها كما تركتها. بسرعة جمعت ما يخصها ووضعته في حقيبتها بدون نظام ولا عناية. كانت تريد أن تهرب بسرعة، أن تغادر هذه الغرفة. وهذا الفندق حتى لا ترى أي شيء يذكرها بـ"فرانسوا".

عندما أصبحت مستعدة نزلت وأحضرت أغراضها. عندما رآها شاحبة سألها موظف الاستقبال إذا كانت تحتاج إلى مساعدة وعرض عليها أن تشرب عصيرا. رفضت "آني" وطلبت منه أن يستدعي سيارة أجرة.

وضع العامل الحقائب في حقيبة السيارة الخلفية وركبت الفتاة. أسندت رأسها إلى الخلف وأغلقت عينيها.

ورددت: "كيف ساصبح؟ كم أتألم!".

عندما فتحت عينيها كان السائق جالسا أمام عجلة القيادة ينتظر توجيهاتها. وعامل الفندق لا يزال متسمرا بجانب السيارة.

ترددت "آني" ثم قالت:

- إلى المطار.

عندما وصلت إلى المطار استأجرت "آني" شيالا تبعها بالحقائب إلى صالة الانتظار.

دفعت له "آني" وجلست على أحد المقاعد تحيط بها حقائبها. مضت ربع الساعة طويلة ثم استأجرت شيالا آخر قادها في هذه المرة إلى محطة سيارات الأجرة.

ومن جديد حملت الأمتعة في السيارة وركبت ثم أخرجت من حقيبتها عنوانا مكتوبا على قصاصة ورق وأعطته إلى السائق.

سارت السيارة طويلا وعبرت أحياء لا تعرفها "آني" بعيدا عن وسط المدينة. اعتقدت الفتاة أن السائق قد ضل الطريق أو أنه قد أساء الفهم، وأخيرا بعد أن سار في شارع بمحاذاة سور أبيض طويل توقفت السيارة.

نزلت "آني". وجدت نفسها أمام باب خشبي كبير في الحائط الأبيض

على يمينه مقبض في طرف سلسلة. أمسكت "آني" بالمقبض وشدته. رن جرس ففتحت الطاقة التي تتوسط الباب. من خلال تلك الطاقة سمعت صوتا نسائيا يسألها بالإسبانية. أجابتها "آني" بالفرنسية.

سمعت "آني" همسات وبعد لحظات جاءها صوت آخر يسألها بالفرنسية ماذا تريدين.

أجابت "آني" بأنها قريبة لصديقة الأم "فيلومين" وأوضحت أنها تريد أن تسلم عليها، وتسألها إذا كانت تستطيع أن تستضيفها بعض الوقت.

أضافت الفتاة أنها لا تعرف مكانا آخر في "ماكسيكو" حيث تستطيع أن تذهب إليه.

فتح الباب ودخلت "آني" في دير الراهبات.

الفصل التاسع عشر

كانت الحياة في الدير ينظمها صوت الأجراس، وصوت الأجراس يشير إلى بداية اليوم. متعبة لسهادها طوال الليل، سقطت الفتاة في نوم عميق حتى إنها استيقظت على صوت الأجراس التي تعلن وقت الظهر.

في الأيام الأولى لم تغادر "آني" غرفتها. كانت حجرة صغيرة بسيطة جدا حوائطها بيضاء وأثاثها بسيط.

طلبت الفتاة أن تأخذ الوجبات في حجرتها، وفي أغلب الأوقات كانت ترجعها دون أن تمسها. كانت تقضي ساعات طويلة في حزن ويأس تسترجع ذكريات هذا الحب الذي لا تستطيع أن تنساه. كانت صورة "فرانسوا" تتردد على ذهنها بدون توقف. تسمعه يهمس إليها بكلمات الحب بصوته الدافئ.

كل ذلك لم يكن سوى كذب ولهو.

كان كافيا أن تنسيه خمسة عشر يوما بعيدا عنها كل وعوده. في خمسة عشر يوما تنتصر "ماريزا" وتستشهد بالصحف التي تبارك خطيبتها.

قطعت "آني" كل صلاتها بالعالم الخارجي. إنها تختفي هنا لتتألم. تختفي من "فرانسوا" و"ماريزا" لم ترد أن تشاركهما سعادتهما، إنها لا تريد أن تسمع الحديث عنهما.

إذا كانت قطيعتها مع "آلان" قد سببت لها ألما مبرحا فإن خيانة "فرانسوا" قد مزقتها تماما.

عندما وصلت إلى الدير، استقبلتها الأم "فيلومين" في عجالة إذ كانت مشغولة جدا في ذلك الوقت. وبعد أسبوع أخبرت الفتاة بأنها ستكون سعيدة بلقائها لتزيد التعرف إليها، وأنها تنتظرها الساعة الخامسة.

وفي الساعة المحددة ذهبت "آني" وطرقت باب مديرة الدير. عند دخول الفتاة كانت الأم "فيلومين" تكتب جالسة خلف مكتبها الكبير. نهضت وذهبت لاستقبال ضيفتها.

كانت مديرة الدير سيدة طويلة القامة نحيفة ومستقيمة وفي نظرتها حيوية واضحة. صافحت "آني" في حرارة وقادتها بالقرب من النافذة حيث

وضع مقعدان حول طاولة منخفضة. أجلست الفتاة وجلست بدورها.

عبرت الأم "فيلومين" من جديد عن سعادتها بلقاء "آني" ثم تطرق الحديث إلى "ماميتا" كانت مديرة الدير سعيدة بأن تعرف أخبار صديقتها. طرحت عليها عدة أسئلة. كانت تتحدث بتأثر واضح عن صداقتها بـ"ماميتا"، وعن شبابهما. قالت:

– إني أذكر ذلك كأنه كان بالأمس. لقد ذهبنا نحن الاثنتين إلى أول حفل لنا. كنا سعيدتين، وفي نفس الوقت قلقتين! ولكن مضى كل شيء بخير، وحققنا نجاحا كبيرا.

بدا الأمر مثيرا للدهشة بالنسبة لـ"آني" أن تتذكر راهبة طاعنة في السن لذكريات اللهو الدنيوي. خمنت الأم "فيلومين" ذلك وابتسمت.

قالت معترفة:

– في ذلك العصر كنت أحب الرقص كثيرا.

نظرت إليها "آني" وقالت لنفسها: "كم هي غريبة تلك الحياة. هذه الراهبة التي احتفظ وجهها بعلامات السنين كانت ذات يوم فتاة شابة تبتسم لصورتها في المرآة، وهي ترتدي فستان حفلة راقصة. من يعرف؟ ربما كانت تحب فارسا جميلا؟

زفرت الراهبة.

– كل ذلك كان منذ زمن بعيد. ها قد مرت أكثر من أربعين سنة لم أر "ماميتا". لابد أننا اختلفنا أنا وهي.

ثم عادت بالحديث إلى "آني".

– لكن لنتحدث عنك يا طفلتي. هل تسمحين لي أن أناديك بطفلتي؟ هل تقبلين أن تكوني حفيدتي؟ ما هي مشاريعك؟ يقولون إنك لا تغادرين غرفتك. هل تتألمين؟ أرى أنك شاحبة وعابسة.

أكدت "آني" أنها تشعر فقط بالتعب، ولا تريد إلا الهدوء والراحة.

سألتها مديرة الدير:

– كم من الوقت تنوين البقاء؟

– حوالي ثلاثة أسابيع.

– تأتي إلي الجرائد الفرنسية. من الممكن أن تستعيريها إذا أردت.

– لا... شكرا .إني لا أقرأ الصحف.

– أفهم احتياجك للراحة وأحترم رغبتك في الوحدة. ولكن في مثل سنك يجب أن تسري عن نفسك. ألا تريدين زيارة "ماكسيكو".

– إني أعرف المدينة؛ إذ أني كنت أقيم فيها بحكم عملي.

استطردت الأم "فيلومين":

– إذن سأقدمك لواحدة من النزيلات لدينا. إنها شابة كندية فرنسية لطيفة جدا، وهي ضمن بعثة تعمل في التنقيب عن آثار حضارة المايا. إنه عمل مثير. وهي تعمل هنا في "ماكسيكو"، ولكن أحيانا تذهب إلى "يوكاتان" وتقضي بها بضعة أيام. إني مقتنعة أنك معها...

قاطعتها "آني":

– لا، لا أريد أن أخرج من الدير.

توردت "آني" تحت نظرات مديرة الدير التي لم تصر على إلحاحها. تتابع الحديث لم يقطعه سوى تقديم الشاي. تحدثت الأم "فيلومين" في موضوعات متفرقة عن الدير وتاريخ دخولها في الرهبنة.

في اللحظة التي استأذنت فيها "آني" لتذهب إلى غرفتها، قالت الأم "فيلومين":

– أنت حرة تماما في هذا المنزل ويمكنك أن تتصرفي كما تشائين. لا يوجد سوى نقطتين لا يمكن أن أتسامح فيهما. أن تأخذي وجباتك في حجرة الطعام وأن تقضي فترة بعد الظهر في الحديقة.

كانت نبرتها ودية ولكنها حازمة. لم تجب "آني".

ربتت مديرة الدير بلطف كتف الفتاة. وقالت:

– أنا أيضا كنت فتاة شابة ومازلت أذكر ذلك.

عادت "آني" إلى غرفتها وأخرجت ملابسها وبعض الأغراض التي لم تكن قد أخرجتها بعد عند وصولها.

وسط الفوضى وجدت اللفافة الصغيرة التي بها صورة الطائر الجميل ذي الريش الجميل. مدت يدها وهمت بإلقائها في سلة المهملات إلا أنها تراجعت، ووضعت الصورة في قاع حقيبتها.

كان مجتمع الدير يتكون من عشرين راهبة من بينهن بعض المبتدئات.

شابات ومرحات، والكثير من الراهبات المسنات اللاتي لا يستطعن التحرك إلا بواسطة عكاز.

بخلاف "آني" كان هناك نحو عشر راهبات يقمن في الدير. الكندية الشابة التي تعمل في الآثار التي حدثتها عنها الأم "فيلومين"، وأخرى كورية تتعلم الإسبانية، وعالمة اجتماع سويسرية تجري بحثا عن العالم الثالث، وأربع سيدات أرامل ومتقاعدات. بالإضافة إلى أمريكيتين عضوتين في مذهب يحرم الدخان والأطعمة ذات الأصول الحيوانية، وكل ما له علاقة بالرقص، تعاليم تجعل السياحة أمرا صعبا. وبدافع التسامح قبلت الراهبات إقامتهن وتقديم أطعمة نباتية لهن.

ليس مسموحا لأي رجل دخول الدير، باستثناء البستاني، رجل عجوز وقبيح يستخدمونه في العناية بالحديقة.

متبعة لتعاليم الأم "فيلومين" اعتادت "آني" الذهاب إلى حجرة الطعام. هذا الالتزام جعلها تخرج من عزلتها التي فرضتها على نفسها منذ دخولها الدير. على الرغم من فقدانها لشهيتها كانت تأكل قليلا. وكانت أحاديثها مع رفقائها تسري عنها وتبعدها عن أفكارها الداكنة.

وبعد الظهر كانت الفتاة تذهب إلى الحديقة الممتلئة بالورد والعصافير. في حمى الحوائط البيضاء العالية لهذا المجتمع الصغير، بعيدا عن العالم وأخطاره كانت تشعر بالحماية ولو لبعض الوقت.

كانت تجلس تحت أشعة الشمس. أحيانا كانت تنام تهدهدها السكينة فتجد النعاس الذي يفر منها في الليل.

أحيانا كانت الأم "فيلومين" تأتي لمرافقتها. لم تحضر إليها مديرة الدير الجرائد قط ولا المجلات، ولكن كانت تحضر لها كتبا عن الحضارة والفن الهندي القديم. الذي يتواجد منه الكثير من البقايا في "المكسيك". لم تطرح عليها أسئلة شخصية قط، ولكنها كانت تتحدث عن موضوعات عامة مثل طبيعة البلاد أو كانت تصف لها معابد المايا التي زارتها.

علمت الفتاة كيف تجذب، بواسطة البندق وحبات عباد الشمس، السناجب التي تملأ الحديقة. كانت الحيوانات ذات الفراء الأحمر تنزل من الأشجار في حرص بدافع الشراهة. تنتظر وتترقب ساكنة ومتشككة. ثم

فجأة في سرعة البرق تثب وتأخذ النقل في لمح البصر ثم تعود إلى الشجرة حيث تجلس، وبواسطة قدميها الأماميتين تقشر غنيمتها.

بعد الأكل تقذف القشر على "آني" والأم "فيلومين".

في لحظات الاسترخاء هذه مع صحبة الأم "فيلومين" الطيبة كانت تشعر "آني" بتحسن كبير. وكانت تتيح لها أن تنسى أحزانها ويأسها.

ربطت الصداقة بين "آني" وجارتها على الطاولة "مادلين" الكندية الشابة عضوة البعثة الأثرية. إنها فتاة طويلة ذات طباع بسيطة ومباشرة. ضحكتها صادقة ووجهها بشوش. كانت تتحدث بحماس عن التنقيب الذي تشترك فيه.

خلال إحدى المحادثات أشارت "آني" إلى ضرورة أن تجد عملا بمجرد عودتها إلى "باريس".

وفي هذا اليوم عندما تقابلت الاثنتان في حجرة الطعام دخلت "مادلين" في الموضوع مباشرة.

قالت لـ "آني":

– لدي اقتراح من أجلك. أنت تبحثين عن عمل؟ إذا كان ذلك يروق لك ستكون هناك وظيفة موثق لدى رئيس البعثة.

دهشت "آني":

– لكني أجهل تماما مجال التنقيب عن الآثار.

– الوظيفة التي ستكون شاغرة لم تكن تشغلها متخصصة. كانت تشغلها سيدة ستتوقف عن العمل بعد ستة أشهر لأنها تنتظر طفلا. إذا كان يناسبك الحضور للعمل في "مونتريال" فاخبريني، وسأتكلم من أجلك.

– ما الخطوات التي يجب أن أفعلها للعمل هناك؟

– ستحصلين بسهولة على السماح بالإقامة لمدة ستة أشهر. وعند نهاية العقد سترين ماذا تودين أن تفعلي. سيمكنك الرحيل. لكن قد تكون تجربة لطيفة أن تبقي ستة أشهر في "كندا".

بناء على طلب "آني" تحدثت "مادلين" عن طبيعة هذا العمل وأضافت:

– يجب أن تقرري بسرعة. رئيس البعثة يريد معرفة فريق العمل كاملا. إنه لا يهتم سوى بعمله في الآثار. وخلاف ذلك يعتبر بالنسبة له وقتا

ضائعا. أستطيع أن أضمن لك أنك إذا قبلت سيكون سعيدا جدا، ألا يضطر للبحث عن موثقة جديدة.

وعدتها "آني" أن تعطيها الإجابة بسرعة.

كانت الفتاة مشغولة جدا بهذا العرض غير المتوقع. كانت تفكر فيه ليلا ونهارا. لقد مضى ثلاثة أسابيع تقريبا منذ مجيئها إلى الدير، ولن تستطيع أن تبقى هنا أكثر من ذلك. لقد حان الوقت لكي تسترد إرادتها وتعود إلى الحياة الطبيعية. لماذا لا تنتهز هذه الفرصة للسفر إلى الخارج؟ لماذا لا تضع المحيط بينها وبين "فرانسوا"؟ ستستغرق في عمل جديد وحياة جديدة وبلد جديد. الوقت الذي سيمر سيحمل إليها النسيان أو على الأقل سيخفف من ألمها.

بعد التفكير الناضج قررت "آني" أن تقبل العرض وأخبرت "مادلين" في اليوم التالي.

اتصلت الكندية الشابة برئيس البعثة بالتليفون الذي كان متواجدا في مدينة "شيشين إتزا" لتخبره بأنها عثرت على موظفة جديدة. وافق رئيس البعثة على اختيار "مادلين" لأنه يثق بها، وفرح لأن مشكلته قد وجدت حلا سريعا.

بدأت "آني" إذن الاستعداد للرحيل ولحقت "مادلين" بالبعثة في مكان التنقيب. يجب أن يذهب كل الفريق إلى "ماكسيكو" في نهاية الأسبوع والاثنين التالي يسلكون طريق "كندا".

استفادت الفتاة من ساعات البطالة اللذيذة الأخيرة. كانت تعرف أنها ستفتقد ملاذها الهادئ في الدير، ولكنها تريد الآن أن تغادر "المكسيك".

قالت لنفسها: "لن أعود إلى هنا أبدا. لقد طويت هذه الصفحة من حياتي إلى الأبد".

بعد الظهر كانت "آني" جالسة تأخذ حمام شمس في الحديقة الخالية، فالنزيلات الشابات في نزهة، والأخريات يأخذن قسطا من الراحة في الظل.

كانت "آني" تلبس فستانا من القطن الأبيض. كانت تشعر بالسعادة وأشعة الشمس تلمس ذراعيها العاريتين. حولها كانت العصافير تبني أعشاشها. ونمو الخضرة يعلن قدوم الربيع الاستوائي المزدهر.

بعد لحظة شعرت "آني" بالحرارة، على الرغم من فستانها الخفيف نهضت من مكانها، وذهبت تستظل ببعض الأشجار. وجدت نفسها أمام فرجة بين الأشجار. كان الجو جميلا هناك. خلعت الفتاة حذاءها وسارت حافية على الحشائش الرخوة.

هبت نسمة رقيقة فرفعت الفتاة ذراعيها لتشعر بهذه النسمة المنعشة تغلفها.

سمعت صوت خطوات. نظرت "آني" لاحظت في ضوء الشمس ظل رجل. شخص يأتي من طرف الحديقة.

قالت في نفسها: "ليس للرجال الحق في دخول الدير. إنه ليس البستاني ولا مساعده. من يكون هذا الشخص.

كان الرجل بمفرده. زادت حيرة "آني" وهي تتابع الغريب بعينيها، إنه يتجه نحو المكان الذي كانت تأخذ فيه حمام شمس. توقف وتردد. لم تتركه الفتاة بعينيها.

وضع الرجل يده أعلى عينيه حتى يحميهما من ضوء الشمس الشديد. دار حول نفسه ينظر إلى كل الاتجاهات. ثم خفض يده وواصل سيره.

قالت "آني": "إنه يأتي إلى هنا".

عندما وصل إلى الأشجار استطاعت أن تميز ملامحه.

عندئذ صاحت "آني" من فرط المفاجأة. وضعت يديها على وجهها كأنها تريد أن تحجب رؤيتها لتحمي نفسها من هذا السراب. إن "فرانسوا" ماثل أمامها.

اقترب كثيرا من مكانها. ابتعدت بسرعة. قالت:

– لا، أرجوك. لقد تسببت لي في ألم كبير. دعني أعيش في سلام.

كانت عاطفتها تسبب لها رعشة. سألته:

– لماذا أنت هنا؟ لماذا تأتي لتعذبني؟ ماذا تريد مني!

– لأقول لك كم أنا سعيد لأني عثرت عليك. لقد بحثت عنك كثيرا فلا ترديني.

هذا الصوت الدافئ ذو النبرات الحادة، هذا الصوت الذي تحبه والذي لم تسمعه منذ وقت طويل قد سبب لها الاضطراب. أغلقت "آني" عينيها.

تأمل "فرانسوا" هذا الوجه الحاني المغمض العينين.

ناداها:

– "آني".

فتحت الفتاة عينيها. هذا ليس وهما. إن "فرانسوا" مازال أمامها. لكنها رفضت أن تقتنع.

رددت:

– لماذا جئت؟ وأنت خطيب "ماريزا"! لقد رأيت الصحف.

عبس وجه "فرانسوا".

– أرجوك يا عزيزتي. اسمعيني دعيني أشرح لك هذه المقالات التي ظهرت في الصحف كانت من واعزها هي. لقد نقلت عبر بعض الأصدقاء خبر خطبتنا المزعومة للصحفيين الذين اعتبروه خبر العام. ولم أعرف بهذه المقالات سوى عند عودتي إلى "المكسيك".

– لكنك قابلتها في "باريس".

– لقد جاءت لتلاحقني وقلت لها إن كل شيء بيننا قد انتهى وإنني أحبك. فقامت هذه الحيلة لتجبرني على تنفيذ ما تريد بأن تضعني أمام الأمر الواقع. لكن كوني مطمئنة لقد طردتها من حياتي إلى الأبد. لا أحد يختارني. إنني أنا من يختار.

– على الرغم من صورتكما أنتما الاثنان؟

– صورة التقطت لنا في العام الماضي أثناء غداء لدى أصدقاء جمعت بيني وبينها. إنها "ماريزا" التي أعطتها للصحف.

– كل هذا كان غير متوقع... لست أدري... لم أعد أعرف..

– "آني" يجب أن تصدقيني، عندما عدت من "باريس" فقط عرفت ماذا حدث بعد فوات الأوان. كنت قد رحلت وهربت. لو تعرفين كم تألمت! لم يكن لدي سوى فكرة واحدة... سوى رغبة واحدة: أن أجدك. لكني فقدت أثرك. لم يرك أحد لا في "ماكسيكو" ولا في "باريس"، لقد فقدتك!

– وكيف عرفت أنني هنا؟

– لم أعرف سوى بالأمس بفضل "شارل"... عزيزي المخلص "شارل". كنت أتصل به كل يوم لأعرف إذا كان لديه أخبار عنك. إنه هو من تذكر

أنك تحدثت ذات يوم عن "ماميتا"، لكننا لم نكن نعرف عنوانها وراح يقتفي هذا الأثر في براعة. وانتهى بأن عرف مكان "ماميتا". هي أيضا كانت تجهل مكانك، لكنها فكرت على الفور في الدير. وهرعت إلى هنا ورويت القصة كاملة للأم "فيلومين". صارحتني بأنك هنا، وأنك ستغادرين إلى "كندا" الاثنين القادم. توسلت إليها أن تدعني أقابلك. إنني لا أستطيع أن أعيش بدونك.

– وهي التي سمحت لك بالدخول في الحديقة المحظورة؟

أجاب "فرانسوا":

– نعم، لقد وافقت على كسر إحدى القواعد من أجلنا. هي التي سمحت لي بالدخول إلى هنا للدفاع عن نفسي. إنني هنا وها نحن قد التقينا. كنت أشعر بقشعريرة عندما أفكر في أن فراقنا سيدوم إلى الأبد.

نظرت إليه "آني" بعينين حادتين. وفي حنان بالغ أحاط "فرانسوا" وجهها بيديه.

قالت "آني" في نفسها: "إن كل شيء يحدث كما حدث في حلمي تماما، بل وبشكل أكثر جمالا".

مال "فرانسوا" نحوها وتقابلت شفاههما في قبلة طويلة. قال "فرانسوا":

– إني أسلم أسلحتي. لقد هزمني الحب. "آني" هل تريدين الزواج بي؟ هل تريدين أن تكوني لي إلى الأبد؟

احتضنته "آني" بقوة وهمست:

– أحبك.

حتى الطبيعة بدت كأنها تشاركهما لقاءهما في اللحظة الفريدة. بعيدا لمعت قمتا الجبلين الكبيرين تحت ضوء الشمس.

طاف حولهما عصفور بألوان مبهجة. تنقلت الفراشات زاهية الألوان من وردة إلى أخرى.

ابتسم "فرانسوا" و"آني" في حنان.

لقد جمعهما حبهما ولن يستطيع أي شيء أن يفرقهما.

تمّت بعون الله